زيتون

العدد :171

www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 15 كانون الثاني 2018

حل الفصائل سبب الهزائم

تصوير: مركز إدلب الإعلامي

مين زوجك؟.. حملة لكشف مخاطر زواج السوريات من مهاجرين أجانب

الشهيد عبد القادر سمير السكاف من معرة النعمان

ربما شهد العام الماضي فترات من الهدوء لم تشهدها باقي سنوات الثورة، بعد هدن أبرمت برعاية دولية، كشفت حجم ارتهان الأطراف المتصارعة للدول المتحكمة في الحرب السورية، ورغم هذا الهدوء المؤقت إلا أن المحافظة التي باتت شبه وحيدة في المناطق المحررة، وقعت بين سندان هيئة تحرير الشام ومطرقة النظام، في معادلة حيرت الأهالي.

خاص زيتون

أطلق مجموعة من النشطاء في الشمال السوري المحرر حملة توعوية باسم: «مين زوجك» بهدف الحد من انتشار ظاهرة زواج المهاجرين من السوريات، ولكشف أضرار هذا الزواج على المرأة السورية والمجتمع.

ونشرت الحملة تعريفاً لها على صفحتها الرسمية فيس بوك جاء فيه:

«زواج السوريات من مهاجرين متطرفين، ظاهرة انتشرت مع دخول التنظيمات المتطرفة لسوريا، وارتفعت نسبتها بالتوازي مع سيطرة هذه التنظيمات المستقطبة للمهاجرين على مساحات ومناطق مختلفة من سوريا، هذه الظاهرة الغير صحية مجتمعياً أو أخلاقياً أو حتى دينياً، والطارئة على حياة المجتمع السوري لا بد لها إلا أن تترافق مع سلبيات آنية ومستقبلية، وعلى صعيد المرأة والأسرة والمجتمع».

وحددت الحملة أسباب تلك الظاهرة، مشيرة إلى الجهل كسبب رئيسي وجوهري، وما يترافق معه من ظروف اجتماعية كالتأثر بالفكر المتطرف، أو أسباب اقتصادية أو شخصية مرتبطة بقلة الوعي، كما أضافت الأسباب الإعلامية من خلال ترويج وتلميع صورة هؤلاء المهاجرين بشكل مقصود أو غير مقصود.

«مين زوجك؟» حملة ركزت بشكل رئيسي على نشر الوعي من خلال النتائج السلبية، والناجمة كنتيجة منطقية لزواج السوريات من المهاجرين، كما ركزت على مستقبل الأطفال كثمرة لهذا الزواج، وهويتهم، والعوائق المختلفة المؤثرة على مستقبلهم بحسب النشطاء.

وتؤكد الحملة أن هؤلاء الأطفال هم مجردون حكما وقانونا من الحقوق المدنية السورية، ومن أهم هذه الحقوق الهوية والتعليم، بالإضافة لتعلق هؤلاء الأطفال بشيء من الموروث الغير سليم المرتبط بآبائهم، ومن الرسائل السلبية أيضاً والناجمة عن هذا الزواج، الوضع النفسي والصحي والعائلي للنساء المتزوجات من مهاجرين، خاصةً أن نسبة من هؤلاء المهاجرين تركوا زوجاتهم إما بعودتهم لبلدانهم الأصلية، أو انتقالهم مع تنظيماتهم لمناطق أخرى دون النساء السوريات المتزوجين بهن، أو بمقتلهم في حالات أخرى، لتبقى المرأة المتزوجة من المهاجر غالباً مع أطفال دون معيل، وفي مواجهة تحديات عديدة على مستوى عائلتها ومجتمعها وحتى على مستوى علاقتها بأطفالها.

ومن أهم النتائج السلبية التي رصدتها الحملة من هذا النوع من الزواج هو عدم معرفة الزوجة وعائلتها وحتى رجل الدين منظم عقد الزواج باسم ونسبة المهاجر الحقيقية، ودائما الأسباب أمنية ووقائية كما يدعون، وهذا العقد كما أجمع رجال الدين والقانون هو باطل، لأن معرفة اسم ونسب الزوج هو شرط أساسي وأولي من شروط سلامة العقد وصحته.

وعن سبب الحملة قال مديرها «نسيب عبد العزيز» لزيتون إن ارتفاع نسبة زواج السوريات من مهاجرين متطرفين، وخاصة في المناطق التي سيطرت عليها تنظيمات إسلامية متشددة، والآثار السلبية الناجمة عن انتشارها وارتفاع نسبتها، كان الهاجس الأكبر لدى النشطاء لإطلاق حملة (مين زوْجِك؟).

وأضاف عبد العزيز أن الحملة تستهدف المجتمعات التي انتشرت فيها ظاهرة زواج السوريات من مهاجرين، وخاصة الشمال السوري الذي تسيطر عليه هيئة تحرير الشام، وهي موجهة للنساء أولاً في هذه المجتمعات، ولأولياء الأمور، ولأصحاب القرار المحليين ومنهم رجال الدين والقانون كونهم مسؤولون عن تنظيم عقود مثل هذه الأنواع من الزواج الغير شرعي والغير قانوني، وبشكل عام الحملة موجهة لكل أطياف وشرائح المجتمع السوري.

وكشف عبد العزيز عن احصائية أولية قام بها فريق الحملة حدد فيها ما يقرب من ١٧٥٠ حالة زواج لسوريات من مهاجرين، ١١٢٤ منهن أصبح لديهن أطفال، كما قالت أن عدد الأطفال المولدون من هذا الزيجات هم ١٨٢٦ طفلاً.

وعن آلية عمل الحملة ونشاطاتها قال عبد العزيز: «ستقوم الحملة بنشر عبارات توعوية على الجدران «غرافيتي» تستهدف تجمعات النساء، كما ستقوم بنشر قصص واقعية عن نساء مررن بتجارب زواج من مهاجرين وما آل إليه وضعهن، إضافة إلى لقاء رجال دين وقانون لكشف مدى صحة هذا الزواج وتبعاته القانونية والشرعية للنساء وأولياء أمورهن.

التزويج لأجانب.. زواج محكوم بالفشل وأبناء وأيتام بلا نسب

خاص زيتون

ظهر في ظل الثورة زواج الفتيات السوريات لمقاتلين غرباء من خارج سوريا، وقد باء معظمها إن لم يكن كلها بالفشل، وحُكم على الفتاة بالطلاق أو الترمل، وإن كانت قد أنجبت فالأمر أسوأ بكثير.

فقد يقع عليها عبئاً إضافياً إلى جانب عدم الاعتراف بهؤلاء الأولاد في الدول التي ينحدر منها الآباء، وعدم قدرتهم على الذهاب إلى دولهم، لاسيما أنهم ينتمون إلى فصائل إسلامية، فضلاً عن عدم وجود قيود لهم في سوريا، وفي بعض الأحيان يكون الاسم المتعارف عليه للأب غير حقيقي، وبذلك يصبح الطفل بلا نسب، والمرأة بدون أوراق رسمية تثبت زواجها، وغير ذلك من المشكلات التي واجهت الفتيات اللاتي تزوجن بهذه الطريقة.

زوجة مهاجر سعودي، /٢١/ عام من ريف إدلب الشرقي، فضلت عدم الكشف عن اسمها قالت ل «زيتون»: «كنا ثلاث صديقات نخرج في مظاهرات البلدة أحياناً، ولم نكن نلبس النقاب، تزوجت صديقتي من أحد المهاجرين الأستراليين وتنقبت، اقتنعت بالفكرة ووافقت على الزواج من مهاجر سعودي يتبع لحركة أحرار الشام.

وفي بداية زواجنا كان حسن المعاملة معي، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فبعد مضي شهر ونصف على زواجنا، بدأ يتغير وأصبح يغيب عن المنزل لفترات طويلة بحجة المعارك والسفر، حتى علمت أنه يتواجد في فترة غيابه في مقر فصيله وليس في معركة أو سفر كما كان يدعي، ما جعل العلاقة بيننا تسوء نوعاً ما، وحملت منه إلا أن غارة للطيران بالقرب منا تسببت في إسقاط الحمل، ليسافر زوجي بعدها إلى تركيا، دون عودة».

وأضافت: «بعد سفره انقطعت أخباره تماماً لمدة من الزمن، بعدها علمت أن السلطات التركية اعتقلته وسلمته إلى السلطات السعودية التي أودعته السجن وحكمت عليه بالسجن المؤبد، وقام شقيقي برفع دعوى خلع لي وتم تطليقي منه، بعد زواج لم يدم أكثر من سبعة أشهر».

أما صديقتها الثانية فقد تزوجت من مهاجر جزائري، وهو أحد أمراء تنظيم داعش، وقالت ل «زيتون»:

«لقد عشت سعيدة معه، ولكن إلى فترة قصيرة جداً، فقد قتل زوجي في معارك خروج داعش من إدلب في بداية عام ٢٠١٤، وأنجبت منه طفلاً لم يراه، ولكنني أتواصل مع أهله في الجزائر، وقد عرضوا علي الانتقال للعيش معهم لكنني رفضت وآثرت البقاء في بلدي».

في حين عاشت الصديقة الثالثة، زوجة المهاجر الأسترالي البالغة /٢١/ عاماً، وهي صاحبة التجربة الأولى بينهن، مأساة تسجيل ابنتها، وتحدثت عن تجربتها ومأساتها، قائلة:

«كنت أعيش بسعادة مع زوجي الأسترالي، ولم نسمح للغة أن تكون عائقا أمام زواجنا، فقد تمكنا من التفاهم مع بعضنا عبر الإشارات وحركات الجسد، قبل أن يُقتل في معارك تنظيم داعش الذي كان ينتمي إليه، والتي جرت في ريف إدلب في بداية عام ٢٠١٤، وذلك بعد مرور أقل من عام على زواجنا».

بعد أن أنجبت منه طفلة عجزت عن تسجيلها باسمه، ما اضطرني إلى تسجيلها باسم أخي، وذلك لعدم امتلاكي أية وثائق رسمية تمكنني من تسجيل ابنتي باسم أبيها الأسترالي الجنسية».

كذلك الحال بالنسبة لمروى من ريف إدلب، المتزوجة من رجل مصري الجنسية، جاء الى سوريا كي يقاتل الى جانب الفصائل الإسلامية، ولديها طفلين منه، والتي قالت ل «زيتون»:

«أنجبت من زوجي المصري طفلين، ولا يوجد عقد رسمي لزواجنا، فقد اقتصر تسجيل الزواج عند شيخ القرية، والآن طفلي غير مسجلين ولا يوجد لهما أوراق رسمية كما أن والدهما لا يستطيع منحهما الجنسية المصرية بسبب عدم قدرته على الرجوع إلى مصر، و أنا أيضاً لا أستطيع تثبيت زواجي في محكمة رسمية و منحهما أبسط حقوقهما».

ومما لا شك فيه إن هذه الزيجات ما كانت لتحصل لولا الحرب السورية، ويمكن أن تزداد حدة في حال استمرار النزاع، كما يمكن أن تتراجع وتزول في حال الأمن والسلام.

ومن هنا وحتى ذلك الوقت ستمر الكثير من النساء السوريات بتجارب قاسية لا بد أن تترك أثرها في المجتمع السوري مستقبلاً نظراً لما للمرأة من دور فيه.

طلاب جامعة حلب: خط الجبهة ليس على أبواب الجامعات

احتج طلاب جامعة حلب الحرة في مدينة الدانا في شمال محافظة إدلب، يوم السبت الماضي ٦ كانون الثاني، على قرار حكومة الإنقاذ التابعة لهيئة تحرير الشام والقاضي بإغلاق الجامعة ومحاولاتها في السيطرة عليها، وذلك في نزاعها مع الحكومة السورية المؤقتة على تبعيتها.

وتحدى عشرات الطلاب قرار حكومة الإنقاذ بعدما تجمعوا أمام كلية الهندسة المعلوماتية ومعهد الحاسوب، منددين بحجج الحكومة التي تذرعت بالوضع الأمني والحرص على المصلحة العامة الصادر بتاريخ ٦ كانون الثاني، كما بدأوا بمتابعة دروسهم في العراء والتزام الكادر التعليمي بأداء عمله معهم، وعدم قبولهم بتبعية الجامعة لمجلس التعليم العالي، كما كتبوا عبارات مناهضة لهيئة تحرير الشام وحكومة الإنقاذ على جدران الجامعة.

وقام طلاب جامعة حلب في يوم الجمعة ٥ كانون الثاني بالهتاف وطرد رئيس الجامعة المكلف من قبل حكومة الإنقاذ «إبراهيم الحمود» تعبيرا عن رفضهم لمحاولته فرض أجندات حكومة الإنقاذ على الكادر التعليمي، لتقوم حكومة الإنقاذ في اليوم التالي بإصدار قرار بإغلاق الجامعة في رد على الطلاب.

طلاب جامعة حلب يحتجون على قرار تحويل الجامعة إلى جامعة خاصة

نظم طلاب جامعة حلب الحرة في ١٦ تشرين الثاني الماضي، وقفة احتجاجية بريف إدلب الشمالي، احتجاجاً على القرار الذي أصدره قبل يوم واحد، مجلس التعليم العالي في إدلب، والذي ينص على تحويل جامعة حلب إلى جامعة خاصة، وتجميع كلياتها في مكانين فقط.

وأكد الطلاب المحتجون على أنهم المتضرر الأكبر من قرار مجلس التعليم العالي في إدلب، وأنه يؤثر سلباً على وضع التعليم العالي والطلاب الجامعيين في المناطق المحررة، ويقلل من فرصهم في متابعة تعليمهم الجامعي، وطالبوا بإلغاء القرار.

ونص قرار مجلس التعليم العالي في مدينة إدلب، الصادر في ١٥ تشرين الثاني، وبحضور المكلف برئاسة جامعة حلب في المناطق المحررة الدكتور "عماد الخطاب"، على "الموافقة على تحويل جامعة حلب إلى جامعة خاصة غير ربحية، وتعطى ترخيصاً مؤقتاً مدته ٦ أشهر قابلاً للتجديد بعد إنهاء كافة الاشتراطات الخاصة بترخيص الجامعات الخاصة"، وذلك في إشارة إلى الطلب الذي رفعه المكلف برئاسة جامعة حلب في المناطق المحررة الثلاثاء الماضي، إلى المجلس لترخيص جامعة كجامعة خاصة غير ربحية.

قام طلاب جامعة حلب بالهتاف وطرد رئيس الجامعة المكلف من قبل حكومة الإنقاذ «إبراهيم الحمود» تعبيرا عن رفضهم لمحاولته فرض أجندات حكومة الإنقاذ على الكادر التعليمي

كما نص القرار على "اعتبار الشهادة الممنوحة من جامعة حلب معتمدة بعد التصديق عليها من مجلس التعليم العالي، وتكليف اللجنة العليا بالإشراف على الجامعات الخاصة بتقديم تقرير إلى مجلس التعليم خلال ١٥ يوماً من تاريخه، يبين التزام الجامعة بالقرارات والأنظمة، بالإضافة إلى السماح استثنائياً لجامعة حلب في المناطق المحررة بتجميع كلياتها في مكانين اثنين خلال مدة شهر من تاريخه، يعتبر الترخيص لاغياً في حال مخالفتها للأنظمة والقرارات النافذة بهذا الشأن"، وفقاً لما جاء في قرار المجلس.

من جانبه أصدر مجلس جامعة حلب اليوم، قراراً رفض فيه قرار مجلس التعليم العالي في إدلب، وأكد على تبعية الجامعة لوزارة التعليم العالي في الحكومة السورية المؤقتة، واعتبر الطلب الذي تم رفعه من قبل الدكتور عماد الخطاب إلى مجلس التعليم العالي لاغياً.

كما جاء في نص القرار: "بعد مناقشة مستفيضة لوضع جامعة حلب، وما صدر عن مجلس التعليم العالي بإدلب، بخصوص اعتبار جامعة حلب جامعة خاصة، وبما أن إدارة الجامعة اضطرت نتيجة الضغط الذي مورس عليها منذ أكثر من ثلاثة أشهر، للمحافظة على تماسك هذه المنشأة التعليمية وطلابها، واجتهاداً يحتمل الصواب والخطأ، قامت جامعة حلب بإرسال كتاب بتحويل الجامعة إلى جامعة خاصة".

حكومة الإنقاذ تستولي على جامعة حلب والجامعة والإئتلاف يردان

حذرت رئاسة جامعة حلب في المناطق المحررة في بيان لها صدر يوم الثلاثاء ١٩ كانون الأول، من استيلاء حكومة الإنقاذ في الشمال التابعة لهيئة تحرير الشام، وذلك عبر تعيين قائم بالأعمال من قبل وزارة التعليم في حكومة الإنقاذ.

وطالب البيان الموجه إلى عمداء الكليات ومديرو المعاهد ورؤساء الشعب في الجامعة عدم المشاركة في أي إجراء من هذا القبيل، والالتزام بمقتضيات تبعية جامعة حلب في المناطق المحررة لوزارة التعليم العالي بالحكومة المؤقتة، التابعة للإئتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية.

وجاء في البيان: "ترد أنباء شبه مؤكدة عن عزم وزارة التعليم في حكومة الإنقاذ بالاستيلاء على رئاسة الجامعة عبر تعيين قائم بالأعمال من قبل الوزارة المذكورة والتحضير لإجراء انتخابات لاختيار رئيس للجامعة نتيجتها محسومة سلفا كالعادة، ومن ثم إلحاق الجامعة بمجلس التعليم العالي التابع لها".

من جانبها أصدرت حكومة الإنقاذ في الشمال السوري، أمس الخميس، قراراً بتكليف رئيساً لجامعة حلب في المناطق المحررة، والطلب منه إجراء انتخابات لاختيار رئيسا للجامعة.

وردت الحكومة السورية المؤقتة على قرار حكومة الإنقاذ بتعيين رئيس لجامعة حلب بعدة قرارات أصدرتها أمس الخميس جاء في القرار الأول: "يحدث فرع لجامعة حلب في المناطق المحررة في محافظة إدلب ويضم جميع الكليات والمعاهد والأقسام والشعب الموجودة في المحافظة".

كما جاء في القرار الثاني "ينقل مجمع رئاسة جامعة حلب في المناطق المحررة إلى ريف حلب الغربي (بشقاتين)"، وذكر القرار الثالث تعيين "مصطفى طالب مديرا لفرع إدلب التابع لجامعة حلب في المناطق المحررة، في حين عين القرار الرابع "عماد محمد الخطاب نائبا لرئيس جامعة حلب في المناطق المحررة.

مجلس شورى جرجناز طالب في بيان له صدر في ٢٢ كانون الأول الماضي، حكومة الإنقاذ بعدم التدخل بجامعة حلب الحرة جاء فيه: "نطالب نحن مجلس شورى جرجناز حكومة الإنقاذ بعدم التدخل بجامعة حلب الحرة المنتشرة بكلياتها ومعاهدها على مساحات الأرض المحررة بدم أهلنا وأبنائنا في سبيل العيش بحرية وكرامة".

وحمل البيان الجهات المسؤولة والهيئات العاملة عسكرية وسياسية مراعاة الظروف الدولية والمحلية والعمل بسياسة الممكن.

ونشر أحد طلاب جامعة حلب على صفحته الشخصية قائلاً: "جميع الطلاب الذين أوتهم جامعة حلب في المناطق المحررة كانوا في جامعات معتبرة كجامعة دمشق وحلب النظام والبعث وتشرين وغيرها وتركوا تلك الجامعات لأنهم طلاب أحرار لا يستطيعون تنفيذ قرارات نظام جائر يرغمهم أو يرغم ذويهم عليها بالقوة، فكيف يريدون منا كطلاب أن نؤيد قرارات من تسمى بحكومة الإنقاذ وهي تفرضها علينا بالقوة وتحت تهديد السلاح الذي سخرته لهم هيئة تحرير الشام".

وكان مجلس شورى معرة النعمان قد أدان يوم الثلاثاء الماضي في بيان له تصرف حكومة الإنقاذ بإغلاق مكاتب وزارة الصحة ووزارة التعليم العالي في الحكومة المؤقتة، واصفة إياها بالنكوث بوعدها بعد سحب إنذارها وأغلقت المكاتب.

وأعرب البيان عن إدانته لسيطرة حكومة الإنقاذ على مقدرات مدينة المعرة دون القيام بتقديم أية خدمات مقابل الأموال التي تجبى من المدينة، مضيفا إدانته لتصرف حكومة الإنقاذ بسيطرته على مكاتب الحكومة المؤقتة، بعدما قامت بسحب الإنذار الموجه للحكومة المؤقتة ثم نكثت وقامت بإغلاق المكاتب دون إجراء تفاهمات مع الحكومة المؤقتة مما سيسبب ضررا بالغاً على مصالح المواطنين بما يخص قطاع الصحة والتعليم.

وطالب البيان بضرورة سحب القرارات المتضمنة ضرراً بمصالح المواطنين وضرورة الاعتراف منها بجميع أطياف الثورة السورية.

وأعلن طلاب جامعة حلب تعليق دوامهم في الجامعة في ٢٣ كانون الأول، احتجاجا على محاولة حكومة الإنقاذ السيطرة على جامعة حلب، والتدخل في سير العملية التعليمية، واستعمالها للقوة عن طريق هيئة تحرير الشام.

وأكد الطلاب في بيانهم على أن جامعة حلب ستبقى قائمة بكلياتها وكوادرها، ولن يتم إغلاق أي كلية أو معهد، بحسب البيان.

إلا أن حكومة الإنقاذ عادت مجدداً لاستخدام القوة، والتي قامت باقتحام مقر رئاسة جامعة حلب الحرة بمدينة الدانا، وأخذ الأوراق الثبوتية المتعلقة بالطلاب، واستبدال أقفال الأبواب في كل من مباني كلية الهندسة المعلوماتية، وكلية الآداب، وكلية الحقوق.

من جانبه قال وزير التعليم العالي في الحكومة السورية المؤقتة الدكتور «عبد العزيز الدغيم»: «أبدى الطلاب رفضهم بشكل قاطع أن يكون مجلس التعليم العالي الممثل داخل حكومة الإنقاذ سلطة تشريعية لجامعة حلب الحرة، وأن تكون هذه السلطة مسؤولة عن رسم سياسة التعليم بعد أفعالها المشينة، المتمثلة بفرض المفاضلة التي تريد، وإغلاق مكاتب الجامعة في المناطق التي تفرض حكومة الإنقاذ سطوتها عليها بالقوة».

وأضاف «الدغيم»: «تحاول حكومة الإنقاذ إغلاق جامعة حلب الحرة بالقوة، بعد طرد الحمود من الجامعة، وفق ما أظهرت مقاطع مصورة في إدلب، ويكمن التفاهم والاتفاق بأن يبتعدوا عن الجامعة وألا يتدخلوا فيها، وأن يسحبوا قراراتهم البائسة، التي لا تنم إلا عن حقد تجاه الحكومة المؤقتة ومؤسساتها»، بحسب ما نقلت وسائل إعلامية.

يذكر أن جامعة حلب في المناطق المحررة تتبع لوزارة التعليم العالي في الحكومة السورية المؤقتة، ويقع مقرها في مدينة الدانا بريف إدلب الشمالي، وتضم الجامعة ١٤ كلية، و١٤ معهد، موزعةً في كل من "درعا، والقنيطرة، والغوطة الشرقية، ومحافظة إدلب"، وسبق وأن قامت القوة الأمنية التابعة لهيئة تحرير الشام بإغلاق جميع مراكز المفاضلة الجامعية التابعة لجامعة حلب الحرة، وذلك في ٦ أيلول الماضي، بعد خلاف بين جامعتي حلب وإدلب على التسجيل على المفاضلة.

معهد الإعلام في إدلب.. شهادة علمية لخبرة عملية

المعهد التقاني للإعلام - زيتون

محمد المحمود

لا شك بأن الخبرة العملية لدى الأشخاص تلعب دوراً كبيراً في مهنيتهم وعملهم، ولا سيما في المجال الإعلامي، لكن يلزم تلك الخبرة الخبرة النظرية والتحصيل العلمي والأكاديمي لصقلها وتوثيقها، كي ينطلق الصحفي من خلفية معرفية صحيحة، وهو أحد أهم الأسباب التي دفعت لافتتاح معهد الإعلام في جامعة إدلب.

مدير معهد الإعلام في جامعة ادلب الأستاذ "علاء العبد اللّه" قال لزيتون: "أسباب عديدة دفعتنا لإنشاء معهد الإعلام في جامعة ادلب، أهمها محاولة رفع مستوى العمل الإعلامي في المناطق المحررة، وتثبيته بشكل صحيح قائم على المهنية، بالإضافة لحاجة السوق الداخلية لخريجين أكاديميين للمؤسسات الصحفية لديهم إلمام بقواعد العمل الإعلامي وتشريعاته وأخلاقياته بالإضافة للفكر الإعلامي، والسبب الأهم هو فقدان المناطق المحررة للمؤسسات الأكاديمية المتخصصة بالعمل الإعلامي".

وعن أقسام المعهد أضاف "العبد اللّه": "في كل سنة دراسية فصلين يحتويان على مواد نظرية وأخرى عملية، والفكرة الجديدة في المعهد أنه في الفصل الثاني من السنة الثانية يتاح للطالب ٥ إختصاصات هي التصوير والمونتاج (المكساج والتصميم) بالإضافة لاختصاص التحرير والكتابة الصحفية، واختصاص النشر الإلكتروني، والصحافة الإلكترونية، واختصاص العلاقات العامة والدولية، وإدارة المؤسسات العامة".

وُضع منهاج معهد الإعلام بعد البحث في العديد من مناهج الإعلام في الجامعات العربية كمصر والعراق والأردن، وتم استخلاص أهم المواد التي من شأنها رفع مستوى الطالب وزيادة خبرته، كما يحاول المسؤولون عن إدلب حالياً، رفع مستوى المعهد إلى كلية، تحت اسم كلية الإعلام والعلوم السياسية، والمشروع في طور الدراسة، سيتم طرحه قريباً لرئاسة الجامعة ومن ثم مجلس التعليم العالي كما صرح العبد اللّه.

"مصطفى الأحمد" أحد طلاب المعهد في السنة الثانية ومراسل ميداني لوسائل إعلامية مختلفة قال لزيتون: "التحقت بمعهد الإعلام بجامعة إدلب من أجل اكتساب الخبرة الأكاديمية وصقل مهاراتي، ووجدت فائدة في الدروس العملية على التصوير والمونتاج، وهما أمرين مهمين لي كمراسل، كما أسعى من خلال المعهد للحصول على شهادة أكاديمية، تزيد من سيرتي المهنية بمجال الإعلام، كما أن ما نحصله من معلومات ودروس تُطور عملي وتُحسن أدائي في نقل الأخبار وتوثيق الأحداث".

ورجح "الأحمد" أن يحصد المعهد نجاحاً كبيراً خلال السنوات القادمة من حيث إقبال الطلاب عليه، نظرا لأهمية الإعلام خلال الحرب.

ورأى أسعد المحمود مراسل لإحدى المؤسسات الإعلامية وأحد طلاب السنة الأولى في المعهد، أن وجود المعهد خطوة مفيدة للإعلاميين الشباب، بما يقدمه من معلومات ترفع من مستوى مهنيتهم وتطوير أدائهم، وصقل لخبرتهم، وهو ما لمسه بحسب رأيه خلال تلقيه لدراسته.

كما أبدى "أحمد الخالد" أحد الطلاب السنة الأولى رضاه عن المستوى التعليمي فيه قائلاً: "أنا لست إعلامياً ولا صحفياً، ولكنني أرغب أن أكون صحفياً، وهو ما دفعني للالتحاق بالمعهد، وهناك مساعدة كبيرة وتجاوب معنا من قبل الكادر في المعهد، ولا سيما الندوات الثقافية الإعلامية التي ينظمها المعهد كل أسبوع، وأنا الآن أصبحت قادراً على كتابة الخبر، والتقرير الصحفي، والقصة الصحفية، وغيرها من أنواع الكتابة بشكل مهني وجيد".

يشكك البعض بآلية التعليم في جامعة إدلب، إذ لا تلزم تلك المعاهد والكليات الطلاب بالدوام، وهو ما دفع بالكثير من طلاب معهد الإعلام إلى التغيب عن حضور المحاضرات، والاكتفاء بتقديم الامتحانات النظرية فقط.

ونظراً لأن المعهد لم يخرج أي دفعة منه حتى اليوم، فإن من السابق لأوانه تقييم مستوى التعليم فيه، لكن يبقى وجوده أمراً إيجابياً في ظل انعدام كليات الإعلام في المناطق المحررة.

السوريون محكومون بالرحيل

ياسر سيد عيسى

عفرين مقابل بعض أو كل إدلب، اللّه أعلم بما تحمله الأيام القادمة لمقررات بقيت سرية لأهالي المنطقتين المتجاورتين. منذ أيام وأهالي عشرات القرى الإدلبية من تخوم البادية إلى أوتوستراد حلب – دمشق، يسارعون في الرحيل وترك بيوتهم وممتلكاتهم هرباً من قصف الطائرات الروسية وقوات النظام، يحملون أولادهم وشيئاً من ذكرياتهم فيما تبقى من عقولهم بشاحنات، أو مقطورات، أو مشياً على الأقدام متوجهين إلى اللا مكان.

حتى الباصات الخضر التي استقلها أهالي حلب والوعر وداريا والقابون ومضايا وخان الشيح وعرسال وبيت جن استكثروا عليهم هذه المرة رفاهية ركوبها. مشردين في أرضهم، لا يجدون من يستقبلهم، ولا أحد يرغب بهم الآن، بعد أن ازدحمت بنازحيها الجدد المتتابعين، وسط غياب تام لعمل المنظمات الإغاثية في تأمين مأوى وطعام للنازحين.

مدير أكبر منظمة ساهمت خلال السنوات الماضية في تقديم خدمات اللجوء منذ بداياته بالداخل السوري قال لي، إن الحالة الآن هي الأسوأ من كل ما صادفه منذ بداية النزوح السوري، بسبب الأعداد الكبيرة وعدم تجاوب للداعمين هذه المرة، مقارنة بنزوح أهالي حلب.

إعلاميا أيضاً، كان لمكانة حلب العالمية صدى أكبر في وصول الدعم إليها، بينما تم تجاهل هؤلاء المشردين الفقراء شرق خان شيخون ومعرة النعمان وسراقب.

هذه القرى الواقعة شرقي الطريق الواصل بين حلب ودمشق الدولي، كالتمانعة وسنجار وأبو الضهور ومعصران والغدفة وجرجناز والتح ودير شرقي وخان السبل ومعردبسي، كانت من أولى القرى والبلدات التي شاركت بالحراك الثوري، تعاطفاً مع صيحات درعا الأولى للحرية، كما أمدت الفصائل بالآلاف من المقاتلين، واستقبلت الآلاف من النازحين، وزفت الكثير من الشهداء، لذا فهي تعاقب اليوم لأنها مناطق ثورة حقيقية، لم تتلون بالمنصات السياسية أو بشروط الداعمين، وقاوموا السواد الدخيل على الثورة بأخضر علمهم، وشاركهم ملايين الأحرار السوريين أنشودة: "ولعيونك يا جرجناز لو قل الخبز والغاز بالأخير إلنا المفاز.. ساقط ساقط يا بشار".

تلك القرى وحواضر البدو والفلاحين في أرياف حماه وإدلب الشرقية، تدمر اليوم دون رحمة، حيث يستخدم النظام في المعركتين كل قدرته التدميرية والنارية بمؤازرة روسية وإيرانية كبيرة، وبصمت دولي متواطئ بالمجزرة، كأن العالم في مجرة أخرى، لأن الوجوه البسيطة والطيبة والحقيقية ليست ذات أهمية لتستقطبها المحطات التلفزيونية العالمية، كما أنهم ليسوا هدف مال الداعمين، هم فقط حطب الثورة الحار، سريع الاشتعال الذي يجب أن لا ينضب.

ينام مئات الآلاف منهم الآن داخل الشاحنات، حتى أن تحويشة العمر لا تكفي إيجار منزل في إدلب، ولا خيمة كريمة يستظل بها الأطفال من برد الشتاء، فالخيمة بمئة ألف ليرة سورية، في ظل انعدام تام لكل مقومات الحياة الأخرى.

يعتقد البعض من النازحين في ريف إدلب الشرقي، بعد تتالي الأحداث أن هناك سيناريو مرسوم يتم العمل عليه في تغير ديموغرافي تم الاتفاق عليه بين الدول الثلاث الضامنة، يقضي أن يأخذ هؤلاء النازحون مكان أهالي عفرين بعد اقتحامها من قبل الأتراك، ليأخذ أهالي عفرين بدورهم مكان أهل الرقة. ولا شيء مستبعد أبداً في ظل ما شهدته سوريا مؤخراً، من عمليات تهجير وتغيير ديموغرافي وسكاني في العديد من مدنها، مما يستوجب مستقبلاً إعادة إنشاء قيود جديدة للسجلات المدنية، وتبديل خانات قيود الملايين بخانات جديدة ومدن جديدة.

ضامن إدلب الذي بادل مناطق شرق وغرب سكة القطار بعفرين، في اتفاقيات الغرف المغلقة ليحتلها جيش الأسد، مقابل أن يأخذ الأتراك مسافة ضامنة لحدودهم من الانفصاليين المفترضين، ويحمي أرضه من العدوى السورية، يصبح ضمانه فارغاً. السوريون الذين استقبلوا بصدور رحبة وبيوت مفتوحة مهجري الحروب من روسيا وأوروبا والعرب، محكومون منذ عام النكسة الفلسطينية بالرحيل وفقد الأوطان، تناوب عليهم الإسرائيليون في الجولان، وقوات الأسد الأب في الثمانينات، ثم الابن، بمشاركة الإيرانيين وميليشياتهم الداعمة، والروس وطائراتهم الآن، بالتزامن مع إقصاء الفصائل المسيطرة، لتحل اليوم المرحلة الأخيرة على يد التركي الضامن.

كارثة إنسانية يعيشها نازحو إدلب ودعوات أهلية للإيوائهم

تناقلت وسائل التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة صوراً ومقاطع مصورة تظهر حجم الكارثة الإنسانية التي يعيشها نازحو ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي، الذين سقطت قراهم تحت سيطرة قوات النظام، أو تلك التي استهدفتها حملات القصف الجوي المركز.

ياسمين محمد

وتبين الصور أعداداً كبيرة من النازحين، أغلبهم من الأطفال والنساء، دون مأوى مفترشين العراء في أجواء ماطرة وباردة، في وقت تراجعت المنظمات الإنسانية عن دورها، ولم يلق النازحون من يمد لهم يد العون.

وبحسب إحصائية منسقو استجابة شمال سوريا الخاصة بريف حماة الشرقي وريف إدلب الجنوبي، والتي صدرت بتاريخ ١٣ كانون الثاني الجاري، فقد بلغ عدد العائلات النازحة ٥٤٤١٧ عائلة، وبلغ عدد الأفراد أكثر من ٣٠٠ ألف شخص، كانت نسبة الأطفال بينهم ١٨٠ ألف طفل.

وتوزع النازحون على ٣٦٨ نقطة، كانت أبرز تجمعاتهم في تجمع قرى بابيلا الذي نزحت إليه ١٥٠٠ عائلة، والغدقة ٦٥٠ عائلة، ومعرشورين ٣٥٠ عائلة، ومدينة إدلب ٢٨٨ عائلة، واستقبلت كل من معرشمشة ومعرشمارين والسعيدية ٢٠٠ عائلة، وحاس ١٨٠ عائلة، والكنيسة ١٤٠ عائلة.

الموقف الدولي

وفي ردها على الوضع المأساوي الذي يعيشه نازحو ريفي حماة وإدلب، قالت الأمم المتحدة إن وكيل الأمين العام للمنظمة للشؤون الإنسانية «مارك لوكوك» سيكون في زيارة لسوريا لمدة ١٢ يوماً، ابتداءً من ١٠ كانون الثاني، لمناقشة كيفية إيصال المساعدات الإنسانية.

وأعربت الأمم المتحدة عن قلقها على لسان المتحدث باسم الأمين العام ستفان دوجاريك الذي قال إن المنظمة الدولية تشعر بقلق عميق على سلامة وحماية عشرات الآلاف في جنوب إدلب وريف حماة، بسبب نزوحهم منذ مطلع الشهر الماضي، حيث تسببت المعارك بمقتل وإصابة مئات المدنيين، مضيفاً أنه «مع بداية فصل الشتاء، يعتبر المأوى الآمن من أكبر المخاوف، حيث يهرب العديد من الأسر إلى مناطق ممتلئة ومجتمعات ذات موارد مستنزفة».

وأشار بيان صادر عن مكتب الأمم المتحدة إلى أن أكثر من ١٣ مليون شخص في سوريا يحتاجون إلى المساعدات والحماية الأساسية والغذاء والمياه النظيفة والمأوى ويواجهون الحرمان اليومي والوحشية، مضيفا أن نحو ٦٩٪ من السكان يعيشون في فقر مدقع.

استجابة أهلية وإنسانية

تنادى أهالي المدن والبلدات التي استهدفتها حملات النزوح إلى المبادرة لتأمين أماكن تأوي النازحين، مطالبين المجالس المحلية والمؤسسات المدنية المختصة بتوفير مساكن للنازحين، داعين الجميع من أهالي ومجالس ودفاع مدني وشرطة حرة إلى التحرك بالسرعة القصوى لتدارك وضع النازحين، وتأمينهم تحت أي سقف يقيهم من المطر والبرد، وفتح جميع المدارس الخاصة والعامة والمساجد والمستودعات وأقبية المنازل والأبنية الفارغة لهم.

من جانبها اشتكت المجالس المحلية من عجزها عن استيعاب الأعداد الكبيرة وقلة الإمكانيات لديها، وسط جو من الاحتقان الشعبي والقلق العام من جراء تقدم قوات النظام في مناطق ريف إدلب الجنوبي والشرقي.

ووجه مجلس مدينة سراقب المحلي نداءً للمنظمات الإنسانية طالب فيه تقديم المساعدة لتأمين النازحين، وجاء في البيان: «بعد الحملة التي شنها المحتل الروسي دعما لنظام القتل والإجرام الأسدي، والتي استهدفت أهلنا في ريف حماة الشمالي وريف إدلب الجنوبي، وما ترافق معها من تهجير لأهل تلك المناطق وبأرقام كبيرة تجاه منطقتنا والمناطق الحدودية، ونتيجة لعدم مقدرتنا وانعدام الإمكانيات لدينا لمواجهة تلك الأعداد وتامين احتياجاتها، كما أننا وجهنا من قبل نداءات استغاثة بتاريخ ٣١ كانون الأول لكافة المنظمات، وها نحن نعاود الكرة اليوم إلا أننا حتى اللحظة لم نتلق أي استجابة».

وأوضح البيان أن المجلس المحلي بالاتفاق مع الدفاع المدني والشرطة الحرة والمهتمين بالشأن الإنساني من مؤسسات مدنية، سيسعى عبر مجموعة من الخطوات الطارئة لتخصيص عدد من أماكن الإيواء المؤقت في مباني عامة، إضافة إلى تفريغ عمال النظافة مع صهاريج المجلس للقيام بتنظيفها وتجهيزها، كما ستوجه كل سيارات المجلس إلى العمل على نقل ما يمكن نقله إليها ضمن حدود الاستيعاب المقبولة».

رئيس مركز الشرطة الحرة في مدينة سراقب «عواد أبو محمد» قال في منشور له على صفحته الرئيسية، أن قسماً كبيراً من النازحين من أصحاب المواشي رفضوا التوجه إلى مراكز الإيواء التي قدمتها لهم الشرطة الحرة».

وانطلقت يوم الأحد ١٤ كانون الثاني الجاري، حملة لإغاثة النازحين حملت اسم «حملة إدلب الكبرى» شاركت فيها عدة منظمات انسانية بهدف تنسيق العمل الإنساني للوصول إلى أكبر عدد ممكن من نازحي ريف إدلب الجنوبي، وقال بيان الحملة أن كلا من «منظمة ركين والدفاع المدني السوري وهيئة الإغاثة الإنسانية التركية، فريق ملهم التطوعي، منظمة بنفسج، فريق غطاء الرحمة التطوعي، مؤسسة إشراقات» شاركوا في الحملة.

وكانت قد تركزت الغارات الجوية في ٨ كانون الثاني، على قوافل النازحين ومخيماتهم في محيط منطقة سراقب وريفها، وذلك في توجه جديد من قبل الطيران الحربي والمروحي.

وقال مراسل زيتون إن شهيدين وعدد من الجرحى سقطوا في مخيم للنازحين شمال مدينة سراقب بعد استهدافهم بعدة غارات في الأراضي الزراعية، تلاها استهداف الأحياء السكنية في المدينة وأطرافها الشرقية.

كما استهدف الطيران المروحي بالبراميل المتفجرة قافلة للنازحين على طريق «كفر عميم – سراقب» أسفرت عن أضرار واحتراق سيارتين للنازحين.

حل الفصائل سبب الهزائم

فريق زيتون

بدأت قوات النظام حملتها العسكرية على ريف إدلب في محاولة للتقدم باتجاه مطار أبو الظهور في ٢٥ كانون الأول من العام الماضي، وشهد ريف إدلب عودة الطائرات المروحية وقصف البراميل المتفجرة من جديد.

كيف بدأت الحملة العسكرية على ريف إدلب

وسجلت قوات النظام أول تقدم لها في ٢٦ من الشهر الماضي بعد سيطرتها على «تل أسود، وقبيبات أبو الهدى، بريف حماة الشمالي، تلاها سيطرتها على «أم حارتين، وتلة الطويل» في اليوم التالي، لتواصل تقدمها في قرى «المشيرفة، والطامة، وتل الوارد، وتل المقطع، والمغارة» بريف إدلب الجنوبي الشرقي بعد تمهيد جوي كثيف، وذلك في ٢٨ كانون الأول الماضي.

وحققت قوات النظام في ٢٩ من كانون الأول أول تقدم بارز لها خلال سيطرتها على قرية «أبو دالي» بعد سيطرات متبادلة مع فصائل المعارضة، كما سيطرت على «محطة القطار، وقرية الحمدانية، وتل مرق» بريف إدلب الجنوبي، وواصلت قوات النظام تقدمها لتسيطر على كل من «عطشان، وتل سكيك، ومزارع النداف، وتل الزعتر، وتل جدوعة، والسلومية».

وبعد تبادل للسيطرة على بلدة الخوين تمكنت قوات النظام من تثبيت سيطرتها على البلدة، لتفرض سيطرتها على قرى «أم الخلاخيل، والزرزور، وشم الهوى» الواقعة بالقرب من قرية الخوين بريف إدلب الجنوبي في الثاني من كانون الثاني الجاري، كما تمكنت من السيطرة في اليوم التالي على كل من «بلدة الطوبية، ومزارع الجدعان، وأم صهريج» بريف إدلب الجنوبي.

وترافقت مع حالة من الاحتقان والحنق في مدن وبلدات محافظة إدلب على خلفية تقدم قوات النظام وتجاوزات هيئة تحرير الشام على الأهالي من اختطاف وفرض ضرائب وأتاوات، وعجزها عن حماية المنطقة بعد أن عملت على ضرب الفصائل فيها والاستفراد بسيطرتها.

من جانبها واصلت قوات النظام تقدمها لتسيطر في ٤ كانون الثاني على قرى «المشيرفة الشمالية، وفحيل جلاس، ورسم العبد، واللويبدة» بريف إدلب الجنوبي الشرقي بدون مقاومة، كما سيطرت على قرية «أم رجيم» جنوب ناحية سنجار.

وتزامن هذا التقدم بحملة قصف جوي مكثف على كامل محافظة إدلب، أسفر عن سقوط شهداء وجرحى في قرية تل الطوقان ومعرة النعمان وسراقب ومحيط كفرسجنة، وبلدة معرة حرمة، ومحيط كفرنبل، وأطراف بلدة الهبيط، والتمانعة، وعلى السكيك ومحيطها، بالإضافة إلى حالة نزوح من قبل الأهالي، حيث وصل عدد النازحين من تلك المناطق إلى أكثر من ١٢٥٢٤ عائلة، بينهم ١٥٦٥٢ امرأة، توزعوا على ١٦٦ نقطة نزوح.

وأحرزت قوات النظام كذلك تقدما جديدا لها في ٥ كانون الثاني بتقدمها على قريتي «المريجب، ومريجب المشهد» في ريف إدلب الجنوبي، وسط صمت من قبل فصائل المعارضة واحتقان شعبي، بالتزامن مع استمرار حركة النزوح في المنطقة، وحالة من القلق والترقب لدى الأهالي.

واستمرت قوات النظام في الأيام التالية بالتقدم لتسيطر على قرى «الناصرية، واللويبدة الشرقية، وجبل الكافي، والشيخ بركة، وأم مويلات، وحوا، وتل عمارة وسرجة» في ريف إدلب الجنوبي الشرقي.

إلى ذلك قالت مصادر ميدانية أن هيئة تحرير الشام قامت بسحب مقاتليها من نقاط تمركزهم في المنطقة الواقعة شرقي سكة القطار، إضافة إلى اعتقال قائد تجمع المرابطين "صدام خليفة" أثناء توجهه بقوة تتبع للعشائر لصد تقدم قوات النظام في منطقة سنجار.

السيطرة على بلدة سنجار

في ٧ كانون الثاني، تمكنت قوات النظام من دخول «بلدة سنجار»، وقرى «الخيارة، والمتوسطة، وصريع» بريف إدلب الجنوبي الشرقي، قبل أن تستمر في سيطرتها على قرى «رملة، وصراع شرقي، وجديدة، ونباز القبلي، ونباز الشمالي» في ذات المنطقة.

إلى ذلك سيطرت قوات النظام في ٩ كانون الثاني على قريتي "سروج، ورسم الورد" بريف سنجار الشمالي، و "الشاكوسية، والرهجان" بريف حماة الشرقي، وذلك بعد سيطرتها على "أبو طحيجة" شمال شرق اعجاز، وقرى "رسم نياص، حرملا، وكراتين، والمشرفة" بريف أبو الظهور، كما سيطرت في اليوم التالي على قرية «تل سلمو» شرقي أبو الظهور والملاصقة لمطار أبو الظهور من الجهة الجنوبية، وسط تخوف أهالي المنطقة من غموض مدى تقدم قوات النظام في إدلب، وخصوصاً أمام صمت هيئة تحرير الشام المسيطرة على المحافظة.

هجوم معاكس لفصائل المعارضة واسترداد بعض القرى

بعد صمت ثقيل لأكثر من أسبوعين، أعلنت فصائل المعارضة، عن تشكيل غرفتي عمليات لصد تقدم قوات النظام، واستعادة السيطرة على المدن والقرى التي خسرتها، حيث أصدرت خمسة فصائل معارضة بتاريخ ١١ كانون الثاني، بيانا عن تشكيل غرفة عمليات باسم "رد الطغيان" مؤلفة من «فيلق الشام، وجيش النصر، وجيش إدلب الحر، وجيش النخبة، والجيش الثاني"، فيما تم الحديث عن غرفة عمليات أخرى باسم "إن الله على نصرهم لقدير"، دون إعلان رسمي عنها، شارك فيهما كلا من «حركة أحرار الشام، وجيش العزة، وجيش الأحرار، والحزب الإسلامي التركستاني، وهيئة تحرير الشام».

وكانت فصائل المعارضة السورية قد شنت في ١٠ من الشهر الجاري هجوما على جبهات ريف حماة الشمالي وريف إدلب الشرقي، تمكنت فيه من استعادة عدة قرى وأسر مجموعات من عناصر قوات النظام وإصابة طائرة حربية.

واستعادت فصائل المعارضة في هجومها كلاً من «الخوين، وتل مرق، المشيرفة الشمالية، ومزارع بيت جدوع، ومزرعة الحسين، والحمدانية، والسلومية، وأبو عمر، وشم الهوى، وأم الخلاخيل، والزرزور، وعطشان».

وتناقل نشطاء مقطعا مصورا يظهر فيه أكثر من ٢٠ أسيرا من عناصر قوات النظام قال مقاتلو المعارضة إنه تم أسرهم على جبهة الخوين، إضافة إلى مقتل عشرات العناصر وتدمير دبابة.

وفي ١٤ من كانون الثاني تمكنت فصائل المعارضة من إحكام سيطرتها على "اسطبلات ورسم الورد ومزارع الحيصة والخريبة والربيعة غرب بلدة سنجار، كما سيطرت على قرية الطيبة والدبشية وطلب والزفر الكبير جنوب أبو الظهور، ومزارع الحسيان شمال قرية عطشان، والخوين الكبير غرب أبو دالي، والمشيرفة الشمالية وأم الخلاخيل وتلة خزنة والوبيدة وجدعان شمال الخوين، وتل مرق جنوب الخوين".

بالمقابل تحدث المكتب الإعلامي بريف حلب الجنوبي عن تقدم لقوات النظام وميليشياته عبر محور تل الضمان، بعد سيطرتها على البلدة ومتابعة تقدمها دون مقاومة تذكر.

وأضاف المكتب أن قوات النظام قد سيطرت منذ تاريخ انسحاب هيئة تحرير الشام من ريف حلب الجنوبي على ٣٦ قرية بحسب المكتب، وهي: "الأيوب، الفارس، الهلالات، وادي الصنوع، المفلسة، المدورة، رسم الزبيب، أبو جلوس، أبو عبدة، المعنكش، بلوزية، كفركار، بنان، برج أسامة، سحور، جب انطاش تحتاني، جب انطاش فوقاني، رسم عميش، الأسدية، الصالحية، شوكان، سويان، البناوي، حوير الحص، برج سبنة، الشهيد، جب جاسم، رملة، جديدة رملة، معيزيلة، نوارة، الثواليل، تل صبحة، أم غراف، أم غبار، تل أحمر".

«كنا نطمح لسوريا موحدة وحرة.. والآن طموحنا بإدلب موحدة وحرة»

«حارة كل مين إيدو إلو».. مقولة تنطبق على ما نعيشه هذه الأيام، بعد تقدم قوات النظام التي تبعه احتقان شعبي أدى إلى كثرة الاحتمالات والتخوفات من سيناريوهات غُيّب عنها أصحاب الشأن، خطط لها في اتفاقات دولية بعيدة عن مصلحة السوريين، حالة القلق التي عمت الشارع في محافظة إدلب دفعتهم إلى الإحباط والتشكيك بالفصائل المعارضة والمجتمع الدولي.

الهيئة السياسية بإدلب:
الحل في أن تحل هيئة تحرير الشام نفسها

أحد أهالي مدينة بنش «عبد الواجد حاج صطيفي» قال موضحا أسباب هذه الهزائم: «تقدم النظام كان لعدم وجود رادع أمامه، فهيئة تحرير الشام التي تدعي أنها القوة العسكرية الوحيدة في إدلب، هي من سمحت للنظام بالسيطرة على تلك المناطق، والحل الآن يكمن في قيام الفصائل الأخرى بضرب قوات النظام من خاصرتها، وهي الخط العرضي الذي يبدأ من قرية عطشان إلى ريف حلب الجنوبي، وإذا تم الاستيلاء على جزء منه، فسوف يضطر النظام لسحب قواته من باقي المناطق خشية حصارها».

فيما رأى «عبيدة حوى» أن السبب الأول والأخير في تقدم قوات النظام يعود إلى عام من الزمن، في إشارة منه إلى بداية حملة القضاء على الفصائل الثورية في إدلب، والتي قامت بها هيئة تحرير الشام، بينما يكمن الحل من وجهة نظره في توحد قوة الثوار وكافة القوى العسكرية في غرفة عمليات واحدة، وتشمل كل القوى الثورية بلا استثناء، أما بالنسبة لاتفاق أستانة فسوف يتم تطبيقه، ولكن ليس الآن، وإنما بعد حل الخلاف بين روسيا وتركيا، بحسب وجهة نظر «حوى».

كذلك أرجع «ماجد الأكرم» أحد أهالي مدينة إدلب السبب الرئيسي في تقدم قوات الأسد بريف إدلب الجنوبي والشرقي إلى تشرذم الفصائل ونزاعها المستمر، وإقصاء عمل أهم الفصائل في الساحة وتهميشها، وهو ما تمكنت قوات النظام من استغلاله والاستفادة منه، ورأى أن الحل يكمن في أن ترد لبقية الفصائل كافة حقوقها من قبل هيئة تحرير الشام، وأن يتم إعادة تشكيل جيش الفتح.

وعن تقاسم المناطق في مؤتمر أستانة قال «عمر حاج حمدان»: «إن اتفاق أستانة قسم محافظة إدلب إلى ثلاث مناطق، منطقة للمعارضة تبدأ من مدينة سراقب إلى حدود تركيا وهي خاضعة للنفوذ التركي، وربما تقوم تركيا بالتخلي عن محافظة إدلب لصالح روسيا بعد ضمان سيطرتها على عفرين، للأسف كنا نطمح لسوريا موحدة وحرة، والآن تحول طموحنا إلى إدلب كاملة محررة موحدة».

السبب الأول والأخير في تقدم قوات النظام يعود إلى عام من الزمن، في إشارة منه إلى بداية حملة القضاء على الفصائل الثورية في إدلب، والتي قامت بها هيئة تحرير الشام

أحد المتظاهرين الأوائل ومقاتل سابق في إحدى الفصائل المعارضة في مدينة جسر الشغور «عمار ديب» يرى أن ما يجري ما هو إلا مسرحية دولية، وأن كل معركة لا تقوم إلا بأوامر خارجية مدفوعة التكاليف ومضمونة النتائج، وأن ما يحدث الآن في ريف إدلب هو ذاته ما كان يحدث في السابق، إلا أن الاختلاف الآن هو أنه أصبح معروفاً ومكشوفاً للجميع، إضافة إلى انتشار أخبار تقضي بالوصول إلى ترسيم حدود سوريا وتحديد المناطق الخاضعة للنظام وأخرى للوصاية التركية.

ويعتبر «أحمد المصطفى» أحد أهالي مدينة إدلب أن القصف الهمجي والمتواصل أحد أهم أسباب سقوط القرى تحت سيطرة قوات النظام، والذي يلعب دوراً كبيراً في وتيرة المعارك، وذلك بالإضافة للسبب الأبرز وهو فرقة الفصائل.

كما يعزو «فوزي المحمد» أحد أبناء مدينة ادلب أسباب سقوط مناطق ريف إدلب إلى تنفيذ اتفاق ومخرجات أستانة، مؤكداً على عدم إعلانها سابقا واطلاع الأهالي عليها.

وعن الحل للوقوف في وجه قوات النظام والحفاظ على محافظة إدلب محررة، قال «سامر الإبراهيم» أحد أبناء مدينة إدلب لزيتون: «الحل الوحيد لوقف وصد هذا الهجوم هو إعادة هيكلة الفصائل الموجودة في المحافظة، وإنشاء تجمع واحد شامل، وإعادة الحقوق لجميع الفصائل، والتي أخذت منها خلال الاقتتال الأخير، والوقوف بوجه هذا النظام المجرم، وكل ما دون ذلك سيؤدي إلى إنهاء الثورة السورية، والقضاء على محافظة إدلب».

نشرت الهيئة السياسية بإدلب في ٥ كانون الثاني، بياناً عبرت فيه عن استنكارها لمؤتمر أستانة واصفة إياه بالمؤامرة وذلك بإخفاء مخرجات الاتفاقية، مشككة بضمان الجهات الدولية مقابل ما يجري على الواقع من مشاركة بعض الضامنين في القصف الجوي مع طيران النظام.

ووجه البيان اتهاما للفصائل الموقعة على بنود استانا، بالخيانة في حال كان الاتفاق يقضي بتسليم مناطق شرق سكة الحديد لقوات النظام، كما اتهم التنظيمات الإسلامية المتشددة «الأعلام السوداء» بمسؤوليتهم عن ضرب فصائل الجيش الحر، واستجرار عداء المجتمع الدولي وإعطائه الذريعة لضرب المدن والبلدات السورية.

ودعا البيان الأمم المتحدة للوقوف أمام مسؤولياتها في إيقاف ما يجري من إجرام النظام السوري وحلفائه الروس والإيرانيين.

وعن موقف الهيئة من مؤتمر أستانة والفصائل الموقعة عليه قال رئيس المكتب السياسي في الهيئة السياسية بإدلب «عبد المجيد الشريف» لزيتون: «إن كل اتفاق لا تعلن نتائجه وخاصة لذوي الشأن وهم في موضوعنا الشعب السوري، لا يخلو من روح المؤامرة، وخاصة أن الدول التي تسمي نفسها ضامنة تشارك اثنتان منها في الحرب على الشعب السوري».

وأضاف الشريف: «لقد عقد أول مؤتمر في أستانة بعد خروج فصائل الثورة من مدينة حلب، وكان خروجاً مشبوهاً، وقد تبين فيما بعد وجود مبادلة بين حلب والباب، استمر مسلسل أستانة ولم تكن تعلن نتائجه، ومع أن الشعب السوري برمته يريد وقف هذه الحرب، التي حولها النظام المستبد من ثورة من أجل الحقوق إلى حرب طائفية قذرة، ويريد العودة للنضال السلمي مع ضمانة إمكانية هذا النضال».

وعن مدى قناعة الهيئة السياسية بورود بنود تفيد بتسلم النظام لمناطق شرق سكة الحجاز قال «الشريف»: «النظام وأنصاره يحاولون إعادة تعويم نظام آل الأسد بأجهزته القمعية، وإن استفراد روسيا بالحل بمعزل عن مرجعية القرارات الدولية هو مؤامرة واضحة لا تقبل التأويلات، ونحن نعتقد أن مؤتمر أستانة قد خرج فعلاً بهذه النتيجة، ولكن حتى هذه يتم تجاوزها على حساب الشعب السوري وثورته، فالنظام تجاوز سكة القطار من ناحية، ومن ناحية ثانية لو افترضنا قبولنا بالإتفاق، فلماذا لم يبلغوا الأهالي ويعطوهم التطمينات اللازمة للبقاء في قراهم، ولماذا يقصفون المدن والقرى بالطائرات، إذا كانت تسلم بدون مقاومة، إذا لم تكن مؤامرة أكبر مما نتوقعه!».

وأشار الشريف إلى أن المسؤولية تقع على عاتق الفصيل المسيطر على المنطقة، والذي ادعى سابقاً رفضه لمقررات أستانة وهو من قام بتطبيقها قائلاً: «الفصائل التي حضرت أستانة ٨ لم توقع عليه، ولم تكن المنطقة تحت حكمها، والحقيقة هي أن من انسحب من المنطقة بدون قتال، هم من يعلنون رفضهم لأستانة، ومن يقاتل ويحرر القرى هم المتهمون بالتوقيع».

ويرى رئيس المكتب السياسي في الهيئة السياسية: «إن هيئة تحرير الشام طردت الفصائل من المنطقة واحدة تلو الأخرى وصادرت أسلحتها، وبقيت القوة الوحيدة في المنطقة، والمشكلة أن سياساتها أكثر غموضاً من نتائج مؤتمر أستانة، فقد بدأت بإعلان العداء للجيش التركي، ولم يمض أسبوع على ذلك حتى دخل الجيش التركي برفقة عناصر الهيئة، وحين بدأ الهجوم على المناطق المحررة من قبل قوات النظام، لم يلق مقاومة تذكر، وحين هب الجيش الحر لصد العدوان وحرر بعض القرى أعلنوا انتصارهم وتكلم المحيسني عن الانغماسي وكأن هذه العملية هي سبب التحرير».

وأشار الشريف في حديثه إلى ما تسببت به هيئة تحرير الشام من ضرر على ثورة السوريين قائلاً: «وبغض النظر عن كون الهيئة قد قاومت أو سلمت المنطقة، فإني هنا أريد أن أشير إلى أمر هام، أعتبر السكوت عنه مؤامرة، وهو أن هيئة تحرير الشام مصنفة دولياً كتنظيم إرهابي، وأن المجتمع الدولي متفق على منعها من حكم المنطقة ومحاربتها، وأنها باتت ذريعة للمعتدي كما أن بقاءها سيحولها إلى داعش أخرى دون اعتراض من القوى الدولية، وأن القول بأنه لو خرجت فسيجدون ذريعة أخرى، هو قول غير صحيح ففصائل الجيش الحر قد اعترفوا بها وفاوضوها، ولا يستطيعون بعد ذلك وسمها بالإرهاب، فهم بذلك يدينون أنفسهم».

وختم الشريف حديثه بالقول: «الحل في أن تحل هيئة تحرير الشام نفسها، وأن يختفي القادة المطلوبون دوليا، وأن نرفض مؤتمر سوتشي وكل مؤتمر لا يعتمد القرارات الدولية مرجعية له، وعلى مجلس الأمن اتخاذ قرار ملزم لحل يفرض على النظام القبول بتطبيق بيان جنيف ١ وقراري مجلس الأمن رقم /٢١١٨/ و /٢٢٥٤/».

حركة أحرار الشام في ردها على الهيئة: حل الفصائل سبب الهزائم

حملت القيادة العامة لحركة أحرار الشام الإسلامية في بيان صدر عنها الأحد ٧ كانون الثاني لعام ٢٠١٨، هيئة تحرير الشام مسؤولية ما يجري من تقدم لقوات النظام على قرى وبلدات ريف حماة الشمالي وريف إدلب الجنوبي، وذلك في معرض ردها على بيان هيئة تحرير الشام الأخير، والذي اتهمت فيه الهيئة الفصائل بالتقاعس عن القتال.

وجاء في البيان: " إن تفكيك الفصائل والاستحواذ على مقراتها وسلاحها ومستودعاتها من قبل هيئة تحرير الشام ساهم بشكل جلي وواضح في ما آلت إليه الأمور، حيث أثر ذلك على فاعليتها وقدرتها على القيام بواجباتها، كما تسبب في عزوف الألوف من المجاهدين عن الجهاد وإضعاف الروح المعنوية والقتالية لدى من تبقى منهم، ومن المؤسف إلقاء اللوم على الفصائل واتهامها بالتقاعس والخيانة ممن كان يدعي امتلاكه لمعظم قوة الساحة وأنه هو الأجدر بالدفاع عنهم، وقام بناء على ذلك بالسيطرة على الشمال وتفكيك أكثر الفصائل وإضعاف المتبقي منها".

وأضافت الحركة أنها لم تتقاعس أو تتخاذل عن القتال رغم قلة إمكانياتها وشح مواردها، مشيرة إلى أنها أرسلت إلى جبهة الرهجان ومن ثم استلام العديد من نقاط الرباط في ريف حماة الشمالي، ولا سيما في محيط عطشان وسكيك، وصدت أكثر من محاولة لتقدم النظام على محاورها، ولم يتم إحراز أي تقدم فيها، بالإضافة إلى وجود الحركة في جبهات أخرى، كجبهة الساحل وحلب، في حين سقط عدد كبير من القرى في الآونة الأخيرة وبوتيرة متسارعة في غير محاور الحركة، وذلك بإجماع المتابعين للأحداث الأخيرة، بحسب البيان.

إن تفكيك الفصائل والاستحواذ على مقراتها وسلاحها ومستودعاتها من قبل هيئة تحرير الشام ساهم بشكل جلي وواضح في ما آلت إليه الأمور

ونفت الحركة أية مسؤولية لها عن اتفاقات تقضي بتسليم أراض من المحرر للنظام، مؤكدة عدم علاقتها بها، مدللة على ذلك بحجم التضحيات التي قدمت في سبيل تحرير هذه الأرض.

وكانت هيئة تحرير الشام قد أصدرت السبت ٦ كانون الثاني، بياناً ردت فيه على الاتهامات التي وجهت إليها بتسليم المناطق والقرى في ريف إدلب الجنوبي التي سقطت وما تزال، بيد قوات النظام السوري بشكل سريع، رجح الكثيرون بأنها تنفيذاً من جانب هيئة تحرير الشام لاتفاق الأستانة، والذي يقضي بتسليم المناطق الواقعة شرق سكة الحديد لقوات النظام.

واتهمت الهيئة في بيانها الفصائل التي شاركت في مؤتمر الأستانة بالاتفاق مع العدو وتسليم إحداثيات مقراته وثكناته، كما اتهمتها بمباركة مناطق خفض التصعيد، وعدم المشاركة في القتال ضده بحجة رد الحقوق لها من قبل هيئة تحرير الشام، في إشارة إلى الفصائل التي فككتها هيئة تحرير الشام واستولت على سلاحها وذخائرها كحركة أحرار الشام الإسلامية وغيرها.

وقال البيان: "لسنا نحن من جلس في الأستانة وأسبغ الشرعية على نظام الأسد، ولسنا من اتفق مع العدو المحتل وسلم إحداثيات مقراته وثكناته له، ولسنا من بارك مناطق خفض التصعيد والتي يحاول النظام التقدم اليوم بدعم روسي تنفيذاً لها، ولسنا نحن من جلس عن الفرض العين من دفع العدو الصائل على الدين والعرض، بحجج أوهن من بيت العنكبوت نسجوها من خيوط صفاء المنهج المزعوم تارة ومن شعارات رد الحقوق تارات، ولا تعدو كونها دعاوى لن تغني عنهم يوم القيامة شيئا".

من جانبه تحدث المكتب الإعلامي بريف حلب الجنوبي في بيان له، إن قوات النظام وميليشياته تقدمت عبر محور تل الضمان، بعد سيطرتها على البلدة ومتابعة تقدمها دون مقاومة تذكر.

وأضاف المكتب أن هيئة تحرير الشام قامت بسحب مقاتليها في ١٠ كانون الثاني الجاري من منطقة جبل الحص في ريف حلب الجنوبي، وتفريغ نقاط تمركزها وسحب سلاحها الثقيل، مع الإبقاء على عدد قليل من مقاتليها من أبناء المنطقة، دون تقديم أي مؤازرة لهم ما سهل على النظام تقدمه.

وأوضح المكتب أن تحرير جبل الحص الذي أعلنت عنه وكالة إباء التابعة لهيئة تحرير الشام يوم ١٢ كانون الثاني الجاري، لم يكن صحيحاً، وأدى إلى وقوع بعض المقاتلين بيد قوات النظام بعد عودتهم إلى المنطقة لتقوم قوات النظام بإعدام اثنين منهم ميدانياً.

وسيطرت قوات النظام منذ تاريخ انسحاب هيئة تحرير الشام من ريف حلب الجنوبي على ٣٦ قرية بحسب المكتب، وهي:

"الأيوب، الفارس، الهلالات، وادي الصنوع، المفلسة، المدورة، رسم الزبيب، أبو جلوس، أبو عبدة، المعنكش، بلوزية، كفركار، بنان، برج أسامة، سحور، جب انطاش تحتاني، جب انطاش فوقاني، رسم عميش، الأسدية، الصالحية، شوكان، سويان، البناوي، حوير الحص، برج سبنة، الشهيد، جب جاسم، رملة، جديدة رملة، معيزيلة، نوارة، الثواليل، تل صبحة، أم غراف، أم غبار، تل أحمر".

آراء الأهالي في وسائل التواصل عن معارك سكة الحديد

رصدت زيتون آراء الأهالي في محافظة إدلب على وسائل التواصل الاجتماعي، بعد تقدم قوات النظام بالريف الجنوبي والشرقي، وما رشح من احتقان وغضب شعبي على حال النازحين الذين تجاوز عددهم 300 ألف نازح بحسب «منسقو شمال سوريا»، واتهم الأهالي في معظم منشوراتهم الفصائل المسيطرة بالتخاذل وبيع الأرض، بالإضافة إلى عدة مواضيع أهمها أسباب هذا التراجع، وموقف الحكومة التركية مما يجري.

وكتب «عبد الحميد شيخ علي» على صفحته الشخصية: «إن قتلت بطائرات الغدر وسلاحه ليست مشكلة، لكن أن أقتل بغدركم وخيانتكم فلن أسامحكم أمراء الحرب».

فيما سخر «خالد عبدو» من عدم مقاومة تقدم الجيش قائلا: «لو واحد رش صهريج مي على الجيش كان أخروا شهر حتى يدفى الجو».

من جانبه قال «قاسم حسين سطوف»: «أستانة إلى سكة أبو ضهور، وسوتشي إلى جسر أبو ضهور، وجنيف تسعة إلى جسر الشغور».

وكتب «حسين الأحمد»: «في بداية الثورة كان كل من يحمل السلاح هو ثوري مقاتل وله بصمات ملموسة في معارك كثيرة، بعد الهدنة، انظر من حولك تجد فلان أمني، وغيرو حسبة، وغيرو عالحاجز وغيرو بالاقتصادية وغيرو بالكازية وغيرو بالكهربا، وغيرو بالمحكمة، وغيرو شرطة إسلامية، وغيرو مسؤول اغاثة، وغيرو مستودع ألبسة البالة، وغيرو حرس على عين الزرقا (دركوش) وغيرو عالمعبر، وغيرو على معبر النظام، وغيرو على معبر التهريب اللي على حدود تركيا، وغيرو منسق لعمل المنظمات، وغيرو عم يسجل الدراجات النارية، وغيرو ملاحقلي بياعين الدخان، طيب مين ضل يحارب».

أما «نهاد أمارة» فرأى بأن سبب التراجع هو الفصائلية والابتعاد عن مبادئ الثورة، وقال: «من كم سنة وقبل ما نصير أحزاب ورايات ومحسوبيات، لما كان الجيش يتقدم باتجاه مدينة، ما كان كل هالمقاتلين وقتها، ومن كل المناطق القريبة للمدينة التي يتقدم لها الجيش، إلا ويستنفرون ويؤازرون إخوانهم، وقتها كان لهم اسم واحد وواجب واحد وكلمة واحدة، ولكن الآن للأسف، الاسم

والواجب والكلمة تم استبدالها، وتم تغيير مبادئها، ولهذا السبب بدأ كل شيء يسقط، سقط الضمير والحب والاحترام والنخوة والرجولة، والآن تسقط البلد».

بينما وجه «محمد باريش» سؤالاً لكافة الفصائل: «إلى قادات الفصائل الإسلامية قبل العلمانية الكافرة المرتدة، ضل شي بعد أبو الظهور للبيع ولا خلصتوا؟، منشان نعرف حالنا منتحصن ومنعمل خنادق وتدشيم إلا لا؟، خاف لسا في شي بايعينه وما إلنا خبر»، في إشارة منه إلى مخرجات مؤتمر أستانة التي لم تكن معلنة ومعروفة للأهالي.

فيما عبر بريء سليمان عن ضيق الناس بمن أسماهم مشبحين للفصائل قائلاً: «هلق أنت إلي عبتشبح لفصيل معين،
أسألك بالله ما هلكت، ما لعبت نفسك، يا أخي حاج تشبيح، منشان كرامة الرسول، ترى العالم كرهانتك أكتر من النظام».

«رامز ابو خضر» كتب: «يا شباب يا أخوان: يعني إذا واحد نزل منشور بخصوص الوضع بمنطقة أبو ضهور، وكتير من المقرات مليانة ثوار عم يتفرجوا على زحف النظام، ليش بينط عجي بقلي شرف وقف بالجبهة بعدين أحكي، يا عمو ما بشرفني هالموقف اللي رح يبيعوني فيه الجماعة القاعدين بالمقرات بأرخص من الخاروف».

«علاء عرجا» من مدينة إدلب كتب على صفحته مطولاً:
- سيارة ولا طيارة؟
- الكاميرا مراقبة ولا مقصودة لتصور الانفجار؟
- الموتور انسرق ولا ضاع؟
- لسه في حدا يا شباب؟
- خود اللقطة من هي الزاوية بتطلع أحلى!
- صحيح أخدوا سنجار؟
- لك سكوت رتل طولو ٦٠ كيلو متر للتركستان طلعوا مؤازرة، رح ياكلوهم بلا ملح.
- مين ساكن بهي الحارة؟
- لك خراس يا خاين
- أمرك
- والآن أنا أحدثكم من موقع الانفجار، رائحة الموت تنتصر على رائحة الحياة، الأشلاء في كل مكان
- والله، ثم والله، ثم والله! لن ترهبنا طائراتكم، وصامدون هنا، حتى الرمق الأخير
- اجمعوا شقف اللحم وانصرفوا
- كل اللي عم يصير فينا من أنفسنا!»أصوات الناس بتتداخل مع بعضها أحياناً وبتحكي حكاية بلد، كلو كوم وهاد اللي حكا الجملة الأخيرة كوم تاني، اطلعت فيه، وشعر بنظراتي، اضطريت ابتعد، حسيت الخوف بصراحة، الإضاءة الساطعة تبع الدفاع المدني بتخليك تحس الشمس طالعة مع إنو الشمس من زمان ما طلعت علينا.

كل تنين واقفين وعم يتحاكوا بعد الانفجار، ومتخذين موضوع معين وعم يتناقشوا فيه، بس هاد اللي قال «من أنفسنا « خلاني فكر أكتر ... إنو معقول الإسلام عم يطبق بكل بقاع الكرة الأرضية، بس إدلب؟ لأ...
لما القهر يوصل فيك للقمة، لقمة القهر بتصير إنسان تاني، إنسان منفصل عن الواقع تماماً، دمار تجاوز حدود العقل، بدك تكون منتبه وأنت وعم تمشي بهالشارع، بكل خطوة ممكن مو بس تنفصل عن الواقع، يمكن تنفصل عن الحياة، بتفجير أو صاروخ تاني!.
فجأة بتسمع صوت.. صوت كأن القيامة قامت، بتطلّع، صوت بيوصل صداه لآخر الكون، والكلمة وحدة، وحدة بس (يا رب يا الله)، وأخيراً شباب الدفاع المدني قدرت تطالع أول جثة من تحت الأنقاض، والأب عم يصرخ يااالله ياارب.. لك كان بدو.. وبيصمت، بيمسكوه، وبيبتعدو فيه عن الكيس الأبيض، الكيس الأبيض يللي رح تتجمع، أشلاء ابنو، فجأة بتتخيل حالك كبرت بالعمر كتير، وصرت مكان هالأب، اللي ربى ابنو كل شبر بندر، وأخر شي شافو قطع، بلحظة تاني بتصغر بعمرك أكتر وأكتر لما تشوف طفل عم يلملم أشلاء أمو، وبتشوف حالك زوج فقد زوجتو، أو زوجة فقدت زوجها ...أو.. أو..
بتجيك اللحظة، اللحظة يللي بتتشجع فيها لتاخد صورة لرفيقك الشهيد، وبتمسك موبايلك، وللصدفة بتكون الكاميرا محولي ع الأمامي، وبتشوف حالك!
بس بتشوف صورتك متداخلة مع صورة رفيقك الشهيد، والدم النشفان ع وجهو نشفان ع وجهك، بتختلج وما بتسمح لنفسك بالتصوير.
الخمس شهداء صاروا عشرة، والعشرة عشرين، والعشرين، بكرة رح نعرف شقد رح يصيروا!
كل شهيد من هالشهدا كان بدو، بس شو كان بدو ياترى؟، بنتبه لشب إعلامي عم يحكي ويقول بنهاية تقريرو مدينة إدلب ٧ / ١/ ٢٠١٨، بنتبه إنو اليوم سبعة الشهر، بركب السيارة، ومع وجهي عند أبو الأمبيرات، بدفعلوا المعلوم، وبقلي لحقت حالك كنا بدنا نفك القاطع، وأنا طالع بينكشني واحد وبقلي ١٠٠٠ ليرة حق مي ، بقلو أنا عالي، عفواً بيتي عالي ما بتطلع لعندي المي، بقلي عراحتك اي لا تدفع، بكرة بتدفعهم دبل مع ٧٥٠ غرامة.
بنتبه لحالي لك كيف هيك؟ كيف بترك مكان المجزرة وبكل برودة أعصاب بجي أدفع أمبيرات، معقول انفصلت تماماً عن الواقع، بتطلع فيه وبقلو قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، بطلع من عندو، وبطريقي بمرق من حارة الكسيح بالقصور.. حواجز إسمنتية والطرقات كلها مقطعة، بسأل شخص خير شو في كل هالحواجز؟، بقلي سكوت أمنيات، هون مقر الوزارات، صدقاً لأول مرة بعرف إنو صار عنا وزارات، ويمكن بيناتهن وزارة داخلية، وشمس عبجي من كم يوم غابت ومارح ترجع تطلع، ويمكن وزارة دفاع، وما قدروا يأكدوا إنو شو اللي صار بشارع التلاتين، وزارة شؤون اجتماعية والناس افترشت المقابر حتى تنام، وزارة تعليم مهمتها تسكر الجامعات.
- ما علينا المهم:
مفخخة إلا طيارة؟ الموتور انسرق إلا ضاع؟ الكاميرا مراقبة إلا مقصودة؟ الرتل وصل إلا لسه؟، يمكن مو بس أنا اللي منفصل عن الواقع يا صاحبي، مو بس أنا.
هالشهيد صرخ أبوه إنو كان بدو، وكل الشهدا اللي راحت كان بدها، واللي بدن ياه راح معهن، ضل اللي بدنا ياه نحنا، وبكرة نحنا منموت، وبروح معن، وسورية كلها كان بدها، وسورية كلها رح تموت، ليموت اللي كان بدها ياه، ويضل اللي بدن ياه هنن، حدا بيتذكر شو كان بدها؟، بس الحمد الله ع كل حال، نموت مع سورية أحسن ما نعيش ونشوفها عم تموت، لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا».

«جهينة رضوان حربا» كتبت: «بدكن تبيدو هالكام مليون مشان ترجعو النظام على إدلب، بيدوهن، بدكن تشردو هالناس كلا شردوهن، بس تذكروا، أنو نحنا إلنا رب مارح ينسانا، باعنا كل الناس، ولا بيهمنا، في النا رب مارح ينسانا، وحسبنا الله ونعم الوكيل فيكن، وبكل من تخاذل عن نصرتنا، تذكروا يوم الحساب رح تتحاسبوا عن كل قطرة دم».

فيما نددت «غصون الياسمين» بموقف بعض الجهات الإعلامية قائلة: «وين المكحلين اللي كنت عم تحكي فيهن وبشجاعتهن يا سيد رحمو على أساس في بإدلب مكحلين لا يهابون الموت أين هم».

وقال «هادي حمصي»: «تم البيع وتسليم، الله وكليكم متل حلب ٣٠٠ ضيعة بيومين، إذا اعم يمشوا مشي بدهم جمعة، على مين عم يضحك، الله يلعن كل من باع واشترى بدم سوري».

وكتب «السيد بدوي»: «روسيا وإيران ضمنوا النظام في أستانة، واستمر النظام بقضم أماكن المعارضة واحدة تلو الأخرى، أما تركيا ضمنت استسلام المعارضة وتسليمها لأراضيها، لقد حقق النظام في أستانة مالم يحققه من ست سنوات».

كذلك أشار «محمد العيسى» إلى حق الأهالي في اتهام الفصائل بالخيانة نتيجة لعدم اطلاعهم على مخرجات أستانة، ولا سيما بعد ما آلت إليه المعارك في المنطقة قائلاً: «من حق المسلمين أن يعرفوا ما هو مصيرهم، ومن حقهم الذم والشجب بعد تقدم النظام، وواجب على الفصائل التي تقاتل وتجاهد في حماة وإدلب أن تشرح وتوضح ما يجري، لأن الأحداث الأخيرة تجعل الناس تائهة، ولا تعلم ما يجري حولها، ليصبح بذلك إعلام النظام بما فيه من دسائس مصدراً للأخبار، وفتح المجال أمام أبواق المنافقين، والذين يصطادون بالماء العكر، والحاقدين، أن يبثوا سمومهم وحقدهم وفتنتهم على المجاهدين، لذلك كان من المفترض على المتصدرين للجماعات أن يواكبوا الأحداث الأخيرة رغم مرارتها، والخروج بتصريحات تضع حداً أمام من يطعن ويشهر بالمجاهدين على أنهم باعوها».

وعن النزوح وارتفاع أجور المنازل في المناطق الآمنة استعرض «علاء الشيخ» أجور المنازل في محافظة إدلب: « مصائِبُ قَوم عِندَ قَوم فَوائِدُ، أجار البيت بأطمةً ٤٠٠$، أجار البيت بسرمدا ٢٥٠$، أجار البيت بالدانا ٢٠٠$، وذلك بعد نزوح حوالي ٤٠٠ ألف شخص من مناطق ريف إدلب الشرقي، وطبعاً ما في ضمير وما في رحمة وما في حدا يحاسب وبيقلك ليش لهلئ الله ما فرجها عالشعب السوري؟».

ويبقى السؤال الأهم المعلق.. إدلب إلى أين؟

تهريب اللاجئين.. ابتزاز الأخ وقسوة الجار

مخلص الأحمد

«لم تعد تتسع براداتنا للجثث التي تتوافد علينا بشكل متكرر»، هذا ما أكده الطبيب «عبد المنعم» مدير مشفى خربة الجوز الذي استقبل الضحايا المدنيين الذين سقطوا في ١٩ حزيران لعام ٢٠١٦، حيث قتل في ذلك الصباح بالقرب من قرية خربة الجوز ١١ مدنيا، كانوا من عائلة واحدة.

وأكد الطبيب حينها أن جميع الوفيات نتجت عن إطلاق نار مباشر إما في البطن أو الصدر، وحمّل الطبيب المهربين من الجانب السوري والتركي مسؤولية ما يحصل، مؤكداً أنها ليست المرة الأولى، ولن تكون الأخيرة على حد قوله، فالمنطقة دوماً تشهد عمليات إطلاق للنار من قبل عناصر الجيش التركي، بسبب خديعة وكذب المهربين، وإيهام العابرين بان الطرقات فتحت وباتت الطريق آمنةً للعبور إلى تركيا.

وكانت منظمة «هيومن رايتس ووتش» قد اتهمت في أيار الماضي، حرس الحدود التركي بإطلاق النار على اللاجئين السوريين وبالاعتداء على بعضهم بالضرب المبرح.
بينما تنفي الحكومة التركية الاتهامات بأن حرس حدودها يطلق النار على المدنيين السوريين الذين يحاولون عبور حدودها مع سوريا، والتي أغلقتها بالكامل منذ عدة أشهر.

عشرات العائلات من نساء وأطفال وشيوخ حاملين متاعهم على رؤوسهم يركضون باتجاه فجوة بالسياج الحدودي الشائك، بذعر وخوف وأمل، يتطلعون إلى حياة آمنة أكثر مما تركوها خلفهم، هي فرصة مؤقتة بين دوريتين لحرس الحدود التركي، يعطي إشارتها المهربون المشرفون على العملية، ليبدأ السباق بين اللاجئين السوريين لاجتياز فجوة، ربما ينطلقون منها لحياة جديدة، أو تتوقف عندها حياتهم نهائياً.
هي صورة يومية تشهدها المناطق الحدودية على طول الحدود، يتصاعد فيها التشديد أحيانا ليصل إلى حد إطلاق النار على اللاجئين فيما تشهد تسهيلات وغض للنظر في أحيان أخرى على عبورهم.
عمليات التهريب يشرف عليها مهربون من أهالي المناطق الحدودية لهم دراية ومعرفة بطرق وأوقات التهريب المناسبة، كما يمتلك العديد منهم صلات وتعامل مع دوريات حرس الحدود، في شبكة تربطهم مع آخرين داخل الأراضي التركية لتستكمل عملية التهريب حتى أقرب المدن التركية الحدودية.

ولقادة الفصائل والمجموعات المسلحة المتواجدة بالقرب من تلك المناطق نصيب مما يتم تقاضيه من اللاجئين، في تفاهم مسبق مع المهربين.
«علي فرج» من أهالي القرى المحاذية للشريط الحدودي وأحد المطلعين على عمل المهربين قال لزيتون: المسؤولون عن تهريب البشر هم شبكة من الأشخاص التابعين لجهات مختلفة، تربط بينهم المصلحة المادية ولهم علاقات مع قادة الكتائب العسكرية في المناطق الحدودية، وحرس الحدود التركي، إضافة إلى شبكات أخرى على الطرف المقابل في الأراضي التركية».

وعن قيام تلك الشبكات باستغلال اللاجئين أوضح «فرج»: «هناك استغلال، كان السعر سابقاً ٥٠ دولاراً للشخص الواحد، لكنه ارتفع اليوم حتى وصل إلى ٥٠٠ دولار وهو في ارتفاع يتناسب مع شدة الحدود وعدد اللاجئين ولا سيما في الأزمات حين اشتداد القصف على إحدى المناطق ونزوح أعداد كبيرة».

بينما وصف «محمود حمد» أحد اللاجئين الذين عانوا من استغلال المهربين، هذه الشبكات بـ «المافيات»، التي تستغل ظروف الأهالي الباحثين عن أمان لهم ولعائلاتهم، وتوهمهم بأن الوصول إلى قلب الأراضي التركية أمر سهل وآمن في حال رفعوا من قيمة المبلغ الذي يستطيعون دفعه، إلا أنهم يتركون اللاجئين في منتصف الطريق ويختفون، دون أن يكترثوا لوصولهم أو مصيرهم، على حد تعبيره.

ويحمل الكثير من اللاجئين المسؤولية لقيادات الفصائل المسيطرة على المناطق الحدودية، في استغلال اللاجئين من قبل المهربين، متهمينهم بالتعامل مع شبكات التهريب، وفرض رسوم علنية على كل لاجئ يرغب بالدخول إلى الأراضي التركية.
«حسين» أحد اللاجئين الذين عانوا من تجربة عبور الحدود عبر الطرق الغير شرعية عبر عن مشاركة فصائل المعارضة المسيطرة على تلك المناطق في ابتزاز اللاجئين، وتحويل مأساتهم إلى مورد مالي لهم، مرجحا أن تكون تلك التصرفات فردية لا علم للقادة بها.
من جانبه أشار «سليمان» أحد سائقي شاحنات نقل الركاب إلى نقاط العبور، إلى وجود مجموعات وصفها بالمافيا، تعمل على استغلال الناس عبر اجبارهم على دفع مبالغ كبيرة مقابل تهريبهم قائلاً: «يصل مبلغ التهريب أحياناً إلى ١٠٠٠ دولار أمريكي، ورغم أن الطريق غير مضمون وقد يتعرض الشخص للقتل على الطريق، إلا أن الوضع الإنساني من قلة العمل والقصف يدفع الناس للهرب إلى تركيا ويفضلون المغامرة والموت بالتهريب على البقاء في سوريا».

ولا يخفي اللاجئون الذي مروا بتجربة العبور مدى الاستغلال الذي تعرضوا له من قبل هؤلاء المهربين، ومدى جشعهم وتضليلهم لهم، وتتحول المعاملة إلى حالة من التنمر والتهديد في بعض الأحيان للاجئين الذي يعزفون عن العبور

وتلعب عناصر الفصائل العسكرية دور بارزا في مساعدة المهربين على ابتزاز اللاجئين بحسب المهرب «أحمد» الذي كشف بأن الفصائل المتواجدة تشارك في عمليات التهريب، واصفاً الحالة الأمنية في محافظة إدلب بالغابة وبالفلتان الأمني الكبير، مشيراً إلى أن حواجز هيئة تحرير الشام حالياً، وأحرار الشام وغيرها سابقاً، تتواجد على طول الطرقات الواصلة إلى تركيا».

وأضاف المهرب: «تقوم هيئة تحرير الشام حالياً بأخذ إتاوات على شكل ضريبة تصل لـ ٥٠ دولاراً أمريكياً عن كل شخص يتم تهريبه إلى الأراضي التركية، وهي شريكة لنا في تهريب المدنيين، ويقتصر دورها على تسهيل نقلهم إلى الحدود عبر حواجزها، وفي حالة وجود أشخاص مطلوبين لها تقوم بفرض مبلغ خاص مرتفع مقابل غض الطرف عنهم، وهو أمر بات معروفاً لدى السوريين جميعاً».

ويرجع المهرب سبب ارتفاع أجور التهريب إلى التفاهمات السرية بين المهربين وعناصر الفصائل، ورفع رسوم الإتاوات من قبل الفصائل هو ما يرفع الأسعار برأيه.
ولا يخفي اللاجئون الذي مروا بتجربة العبور مدى الاستغلال الذي تعرضوا له من قبل هؤلاء المهربين، ومدى جشعهم وتضليلهم لهم، وتتحول المعاملة إلى حالة من التنمر والتهديد في بعض الأحيان للاجئين الذي يعزفون عن تورطهم بظروف أمنية خطرة، معرضين حياة اللاجئين للخطر جراء إطلاق النار من قبل الجندرمة التركية عليهم، وتخلي المهربين عنهم، أو التواطؤ عليهم في كثير من الأحيان.

ولا تقتصر معاناة اللاجئين على الأراضي السورية فقط بل تتلقفهم شبكات أخرى في الأراضي التركية مرتبطة مع تلك التي في الأراضي السورية لتمارس عليهم ذات الاستغلال والابتزاز والتهديد بتسليمهم لحرس الحدود في حال رفضهم لدفع مبالغ كبيرة لا تتناسب مع تلك الخدمات التي يقدمونها من نقل لمسافات بسيطة.

الأطفال ضحايا المهربون والحرس

يشترط الكثير من المهربين على العائلات التي ترغب بعبور الحدود، إعطاء حبوب منومة للأطفال، وذلك تجنباً لبكائهم ولفت نظر الجندرمة، الأمر الذي يتقبله اللاجئون المرغمين، وهو ما سبّب مشاكل خطيرة لبعض الأطفال الذين تعرضوا لمشاكل صحية جراء تناولهم لتلك الحبوب.

وقال الطبيب «أحمد الغندور» مدير مشفى بلدة دركوش: إن الكادر الطبي في المشفى يعالج أسبوعياً، ما بين خمسة إلى سبعة أطفال، أغلبهم لا تتجاوز أعمارهم السنتين، يعانون من أعراض تناول جرعات زائدة من الأدوية المهدئة، وذلك منذ أن بدأت موجة من النازحين السوريين بالوصول إلى هناك في الأشهر الأخيرة، وفقاً لما نقلته «سوريا على طول».
وأفاد الغندور عن وفاة رضيعين جراء جرعات زائدة من مادة مخدرة غير معروفة، قام والدهما بشرائها من إحدى الصيدليات القريبة من منطقة العبور، وإصابة ثلاثة أطفال آخرين تم اسعافهم في مشفى دركوش، بعد عودة ذويهم لإسعافهم إثر اكتشاف إصابتهم.

كما تناقلت وسائل إعلامية أخرى عن قيام المهربين بإجبار الأهالي على إعطاء أطفالهم أدوية مخدرة، بعد تطمينهم بسلامتها وعدم ضررها على الأطفال، وأن مفعولها لا يتجاوز الأربع ساعات ريثما يتم تجاوز المنطقة الحدودية، وذلك لضمان هدوئهم وتجنب رصاص الجندرمة التركية.

كما سقط عشرات الأطفال السوريين قتلى برصاص الجندرمة التركية، كان آخرها استشهاد الطفلة «ألينمار الهادي» من أهالي البوكمال برصاص الجندرمة التركية أثناء محاولة أهلها عبور الحدود التركية بالقرب من دركوش بريف جسر الشغور.

تهريب البشر هو أحد مسالك تجار الحروب الذين يجدون بمعاناة اللاجئين فرصة لهم للكسب المادي دون وازع أو ضمير، ومع أن ظاهرة تهريب البشر ليست جديدة، ولا تحمل طابعاً محلياً بل هي ظاهرة دولية، إلا أن الصدمة تكمن في خصوصية الحالة السورية، أن المساهمون فيها هم أشخاص يفترض أنهم يحملون قضية أخلاقية، فأن يستغل أحدهم منصبه القيادي في إحدى الفصائل ليكون جزءً من شبكة تهريب فهنا تكمن المشكلة.

بكل فخر.. إنه أبي

ياسمين جاني

أبي..
ذلك الرجل الخمسيني، ذو البشرة الحنطية، والعينان الواسعتان، وملامح الوجه التي تختصر قصة حياة قضاها في سبيلنا، رجل يجمع بين القسوة واللين، لكنه يميل للمزاح أكثر من الجد، ويمتلك حساً فكاهياً يسخر به من ثقل الواقع الذي نعيشه، ليخفف عبئه عن الآخرين.

يوصف بالهدوء والصبر والمثابرة، إضافة إلى الهمة العالية والنشاط، مع الكثير من التدبر والتفكير قبل أن يقوم بأي عمل، شعاره "ما حك جلدك مثل ظفرك"، وهو ما يدفعه إلى قضاء حاجاته بنفسه دون أن يعتمد على الغير بها.

عمل منذ صغره على تعلم ثم ممارسة مهنة صيد الأسماك وبيعها، والتي ورثها عن والده، وعمل بها ما يقارب الخمسة والثلاثين عاماً، إذ اضطر بعد تحرير مدينته جسر الشغور لتغييرها نتيجة لصعوبة ممارستها، فافتتح محلا لصناعة الحلويات التي يتقن صناعتها كعمل بديل.

ثقته بنفسه تبعث بمن حوله الراحة والاطمئنان، كما يضفي على الجلسة الحب والحنان والعطف، مهتماً بالصغير قبل الكبير، موزعاً عاطفته عليهم حتى يشعر كل منهم أنه الأقرب إليه، دأبه مساعدة من حوله ومد يد العون لهم.

ليس من أصحاب الشهادة ولم يتخرج من كلية أو جامعة، لكنه يمتلك خبرة الحياة التي تعلمها بصبره وبتجاربه، من رحلات صيده مع والده حين كان صغيراً إلى ملازمته لمن هم أكبر منه سناً.

يعتبر موسوعة في الأمثال الشعبية، فما يميز حديثه هو كثرة الأمثال التي يحفظها ويرددها مراراً، إلى درجة دفعت ابنه العشريني لاقتناء دفتر خاص لتدوين كل مثلٍ جديد يسمعه من والده.

محبوب من قبل الجميع، يمازحهم حيناً ويوجعهم حيناً آخر، يستمع إليهم ويتفاعل مع مشاكلهم، يتفهم ظروفهم، يتعاطف مع آلامهم، لا يضيق صدره بأسرارهم، ولا يمل من تكرار قصصهم وشكواهم، طريقة تعامله مع من حوله تشرح مدى رقيه واتقانه لمعاملة كافة النماذج والاطياف الانسانية وتفهمه للجميع، ابتداءً من والدته وانتهاءً بحفيدته ذات التسعة أشهر.

يتميز بسياسة فريدة بالتعامل مع كل فرد من العائلة أو من أصدقائه وأقاربه، أولاده السبعة والذين يبلغ أكبرهم سبعة وعشرون عاماً مازالوا أطفالاً في عينيه، ينصحهم، ويسايرهم أحياناً، ويناقشهم في قضايا حياتهم كأنداد أحياناً أخرى، هو مستشار العائلة من صغيرها إلى كبيرها، يقصده الجميع لحل مشاكلهم، وأخذ نصائحه فيها.

جداله الطويل مع ابنائه الشباب، نوع من التدريب على استعمال العقل في المناقشات، ولتعويدهم على استعمال فكرهم في تقديم الحجج والبراهين حول وجهات نظرهم، عبر اسئلته يقدم الحكمة والتحريض لهم، كي يدركوا أن لكل نتيجة سبباً

ولكي يبتعدوا عن التواكل في المنطق والاعتماد على الغيب، يهتم بأن يمنحهم شخصياتهم المستقلة، المتمايزة، ويصقل هوياتهم المتفردة، مبتعداً عن طرق القمع والترهيب، مؤمنا أن العائلة هي المنصة الأولى لينطلق منها الطفل إلى العالم بثقة.

لا يوفر جهداً في تأمين متطلباتهم مهما كانت وبأي طريقة كانت، ولا يتجاهل مستلزماتهم، كما يحتمل عصبية زوجته، مخففاً ضيقها ممازحا لها للترويح عنها، مجبراً إياها على الابتسام لبساطته وجمال أسلوبه.

أكثر التجارب قسوة بالنسبة له، هي ما عاشته المدينة من نزوح قسري بعد تحريرها، انصب همه على تأمين عائلته وأولاده وإيجاد مأوى لهم في الريف المحرر، ومن ثم عودته بهم إلى المدينة أثناء قصفها، ونجاته عدة مرات من موت محتم كان يتربص به، وهي فترة أكلت من سنين عمره عمراً.

لكل منا سند في هذه الحياة نعتمد عليه.. وأنا اخترت سندي، وبكل فخر إنه أبي.

بإرادته تجاوز إعاقته.. صانع البوابير في بنش

أسعد الأسعد

على كرسي قصير، بمحله المقطوع من منزله، والذي طغى اللون الأسود على جدرانه وأرضه، يجلس «أبو إسماعيل» الرجل الخمسيني في مدينة بنش، بقدمين صغيرتين مشلولتين، توقف نموهما منذ أن كان صغيراً، ليمارس عمله اليومي في صيانة وتصنيع بوابير الكاز ومدافئ الديزل، غير عابئ بإعاقته.

كان أول من تخصص في بنش بإصلاح وتصنيع بوابير الكاز، قصده كل أهالي المدينة، قبل أن تنتشر مواقد الغاز وتتراجع نسبة زبائنه، لتعود مهنة أبو إسماعيل للازدهار بعد الثورة السورية، وضعف توافر مادة الغاز وغلائها، وعودة الأهالي لاستعمال بوابيرهم القديمة.

في فترة انتشار مواقد الغاز وتراجع الطلب على البوابير، لم يقف أبو إسماعيل مكتوف اليدين أمام التطور، بل طور هو أيضاً محله ووسع نشاطه، ليضيف إلى عمله صيانة مدافئ الديزل، ليستمر بجني رزقه من محله، فمعظم الأهالي يستعملون هذا النوع من المدافئ.

أبو إسماعيل الذي طور صناعة البابور من الشكل القديم الصغير، ذو اللون الأصفر المصنوع من النحاس، ذو السعر المرتفع، إلى شكل جديد، إذ جعله على شكل موقد الغاز برؤوس أربع، وبسعر مناسب أكثر، مع استقرار وسهولة في التشغيل، مع خزان أوسع للوقود وبوزن أخف، وفر هذا البابور الجديد على نساء البيوت الكثير من التعب والجهد، ما زاد الطلب عليه.

ما يأخذه الله منك يضاعفه في أمر آخر فيك، ولرب إعاقة كانت سبباً في نبوغ صاحبها، ودافعاً له للمضي إلى أبعد ما يستطيع إليه الأصحاء الوصول.

يروي أبو إسماعيل لزيتون عن حياته وعمله قائلاً: «ولدت بقدمين مشلولتين، وبعد تعلمي القراءة والكتابة في مدرسة مصطفى عموري بمدينة بنش، وضعني والدي لتعلم مهنة صيانة البوابير في أحد محال الصيانة بمدينة إدلب، ومن هنا تعلمت مهنتي، عملت حتى سن الخامسة عشر في مدينة إدلب، ثم تزوجت وافتتحت محلي الخاص الموجود ضمن منزلي، لأعيش منه وأعيل أسرتي».

أبو اسماعيل أب لثمانية أولاد، ثلاثة شبان وخمس بنات، قام بتعليم أولاده هذه الحرفة، جميعهم يعملون معه في ذات المحل، لكل منهم اختصاص، «إسماعيل» مختص بصناعة البوابير وصيانتها، و«أحمد» مختص بصيانة المدافئ التي تعمل على الديزل، أما «قاسم» فهو الذي يقوم بمرافقة أبيه لجلب المواد الأولية لصنع ما يبيعونه في دكانهم من السوق، ويقوم بمساعدة أخويه في عملهما.

استطاع أبو إسماعيل بالرغم من إعاقته أن يبني عائلته وعمله بأصعب الظروف، وها هو اليوم يعود مجدداً مقصداً لمعظم أهالي مدينة بنش، الذين يبادلونه نظرة الاحترام والتقدير والمحبة، ويرون فيه الرجل الذي لم يستكن لإعاقته بل ناضل ليعيش بشرف وكرامة.

جار أبو إسماعيل وصديقه «عبد الله شقير» صاحب دكان سمانة في الحي ذاته وصف أبو إسماعيل لزيتون بقوله: «رغم إعاقته إلا أنه مضى بحياته مثل أي رجل معافى، ولربما أفضل من كثير من الأصحاء، واستطاع أن يصل إلى هدفه وبني أسرته، بينما لم يصل الكثير من الأصحاء لما وصل له».

وأضاف «شقير»: «خفيف الظل، له وجه بشوش والضحكة لا تفارقه، حين تذهب لإصلاح شيء عنده تألف جلسته، ويجذبك بحديثه وحضوره، فدائما ما يردد المواويل الشعبية، وإطلاق الحزازير والألغاز الطريفة».

بالإرادة والتصميم والصبر تستطيع صنع المستحيل، فما يأخذه الله منك يضاعفه في أمر آخر فيك، ولرب إعاقة كانت سبباً في نبوغ صاحبها، ودافعاً له للمضي إلى أبعد ما يستطيع إليه الأصحاء الوصول.

يواصل أبو إسماعيل صناعة وصيانة البوابير في محله الصغير، فيما تغرق سوريا بشحّار حربها، دون أن تجد من يصون أهلها.

إدلب..
هل تسمحين ببعض العتب

أحمد فرج

مـن مدينتها الأكـبـر، ومركز حضارتها، يقف شاب لم يتجاوز عـقـده الـثـالـث، رافـعـا صوته الجهوري والجريء، شاتماً كل سلطة، محرضاً ونـذيـراً، أن لا بقاء لنا إن لم نطرد الغرباء ونحمي أرضنا بيدنا.

هي صرخة تكررت في كل بقعة ظلم مرت على البشرية، وفي كل زمـان طغى فيه السواد، وفي سوريا ترددت في كل يوم، ولربما كل ساعة خلال السنوات السبع الماضية.

صرخوا حين بكت الناس فرحاً ونشوة من مرأى المظاهرات، صرخوا حين اقتحمت عساكر الموت بلداتهم، وصرخوا حين انتشر الـسـواد وراح يقضم حـيـاتـهـم، والـيـوم تتعالى الصرخات من جديد، في قيامة جديدة، أمـام غـازٍ حقود لئيم، ولص ثعلب حرباءً، الأول يحرق قراهم من السماء، فيما يحرق الثاني حياتهم من الأرض.

كـالـجـراد الـقـادم مـن البادية تتقدم قوات النظام إلى حدودها الشرقية، فيما تقف اللحى السوداء جسراً للغزاة.

إدلـب التي صنعت اخضرارها بأيدي المسنين المتشققة، ومن صخورها الصلدة القاسية، ومن صبر نسائها، وبخل سمائها، واغـبـرار ساحاتها، تقف أمام صحوتها الأخـيـرة، فـي نهاية لكل ثوراتها، وبداية لوجودها أو زوالها، حصيلة تاريخها ونضالها.

إدلـب التي باتت اليوم قُدس السوريين ومَكتهم، حصن حلمهم الأخـيـر، عين حقهم أمام مخرز الباطل، آخر معاقل آمالهم، بطلهم الوحيد الأجرد أمام جراد العالم القبيح، تعيد اليوم حساباتها من جديد.

وعلى من سنُراهن اليوم فيكي يا إدلـب؟.. على زيتونك الذي صار حطباً لـدفء أطفالك، أم على تاريخك الذي سُرق تحت جنح الظلام على يد الظُلام، أم على مجدك الغابر في حاضر عاثر.

على احتضانك لداعش والنصرة، وصمتك على قتل أبنائك أمام عينيك، أم على صبرك الطويل على الضيم.

تمر قوافل النازحين كأرتال الثكالى بين القرى التي تراقب رحيل جيرانها قبيل أن يأتي دورهـا، الراحلون المقرفصون على متاعهم، يبحثون عن أية بقعة أرض تقيهم موت السماء، ميممين وجوههم إلى المجهول، تاركين خلفهم كـل مـا لهم، مكتفين بأطفالهم ونسائهم على أمل أن يعودوا ذات يوم.. وهـم يعلمون أن أحـداً ما عاد قبلهم حتى يعودوا.

ما بين لقمة الطفل وسلامته يبطش الأب بامرأته، وتعول النساء في الشوارع بحثا عمن كانوا أحياء قبل قليل، يَشْرِد الشباب بأيامهم الطويلة، ينهار الرجال لثقل الحمل، فوضى لم يعد هناك من يمكنه ضبطها، سيارات بكل الأشكال والألوان والسلطات، وجـوه تبحث عن فـرص لها في زمـان الضياع، والشيوخ تدمدم أملا بخاتمة حسنة.

تلالك التي كانت رفيقة القرى، صارت دليلا للمعتدين، تشير لهم، لم تعد مراتع للصبا، ولا فسحة لعاشق، ولا حلم للص، صارت متهمة بالخيانة أيضاً.
حتى أنك خذلت من قصدوك، جمعت عـائـلاتـهـم، وسلبت سلاحهم، وتركتهم في عراء القصف بلا مـأوى، يتقاذفهم لئام الخيام.

هل حان دورك الآن؟ أم أن أحمقاً ما سيثير الفتنة فيك ويخلصك من موت محدق؟ هل ينتظرك مصير من سبقوك، أم أن لديك نهاية أخـرى، خبأتها من خبرة قديمة في حرب العصابات ضد الفرنسيين.

ليس للناس غيرك يـا إدلـب، فلقد نفذت المنافي، وأغلق الجيران أبوابهم وناموا، ولن يسمع أحـد صـراخـك، فكيف ستواجهين الموت؟ أخبري الناس عن مصيرهم كي يتهيؤوا، لا تموتي صامتة منتهكة.

لا تتخلي عن نفسك يا إدلب، لا تكوني عبرة مثل غيرك، ابحثي عـن الثغرة واملئيها، نظفي نفسك لتكوني جديرة بتحقيق الخلاص، ولتعلمي أن الجراد يخاف اسمك.

ربما سنراهن على عشاقك الأوائل، الذين آثروا البعد حين كثر المتزلفون إليك، وسنراهن على أبنائك الذين أدرت لهم وجـه المجن، فيما احتضنت الغريب، ربما على الحالمين الذين أشعلوا شوارعك بالشعر، ربما على من يكرهون السلاح، ربـمـا عـلـى الطيبين الـذيـن صدّقوا الحلم.. سنراهن.